روايات رومانسية عالمية

عبير

ربيكا ستراتون

الخطاف

مكتبة زهران

ربيكا ستراتون
الخطاف
مكتبة زهران

روايات رومانسية عالمية
عبير

الخطاف

ربما تكون

مشكلة التقاليد المختلفة من

ابرز ما يعترض الحب في اي مكان او زمان،

ذلك ان التعبير عن مكنونات القلب يختلف باختلاف

الخلفية الاجتماعية والتاريخية لكل شعب. لكن الحب

الحقيقي، كضوء المنارة، لا يمكن ان يختفي بفعل اي غيم

وداليا الآتية من جزيرة الضباب، تساعد عمها منقب الآثار

تواجه هذه المسألة امام كمال التركي التقليدي الصميم

قدرتها على احتمال الظروف التي تحيط بها تنفد ولا

يعود امامها سوى اللجوء الى الهرب لكن الخطاف لها

بالمرصاد وطريق المطار سرعان ما تؤدي بها

الى مضارب الفجر

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده - خلف الجامع الأزهر
ت : [illegible] - موبايل : [illegible]

ربيكا ستراتون

الخطاف

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
THE GODDESS OF MAVISU

مكتبة زهران
جمهورية مصر العربية
١٥ شارع الشيخ محمد عبده خلف الجامع الأزهر
ت : ٥١٤٢٩٥٥ - موبايل : ٠١٢٣٣٧٨٦٤١٨

١ـ آثار وأحلام

اضطجعت داليا على جذع شجرة يابس تتأمل السماء البنفسجية الممتلئة بالنجوم المبعثرة كأحجار الالماس على قطعة من المخمل، وقد اختلطت بأضواء مدينة أنتاليا مضيفة لوناً ذهبياً الى السماء الداكنة. كانت تتردد الى مسامعها امواج البحر ممتزجة بأصوات شجر الصنوبر تحرّكها نسمات الليل الدافئة. وتواردت اليها أصوات عمها محدثاً كليفورد عما وجداه وهما يستعرضان أعمالهما في ذلك اليوم على ضوء المصباح. وكالعادة فان كل ما يهتم به عمها آرثر يتعلق بالقرون الماضية أيام عاش الاغريق في هذه البلاد الجميلة وتركوا حضارتهم لتصبح جزءاً من تاريخ تركيا الشيّق.

. لا شك ان داليا كانت تستمتع بعلم الآثار والاّ لما اقتنعت بمرافقتها في هذه الرحلة، ولكن طبعاً، الحاضر يهمها أكثر.

من المؤكد ان الاغريق اكتشفوا جنة في أنتوليا وعلى امتداد شواطئها الفيروزية ومنحدراتها المرجانية. أحبت داليا اناتاليا وأنتوليا وضواحيها ولكن السكان الحاليين للمنطقة لفتوا انتباهها اكثر من الاغريق.

كان عمها البروفسور آرثر كرومبتون صديقاً قديماً لسعدي سليم، ولمّا سمع باحتمال وجود آثار يونانية غير مكتشفة في أرض الرجل العجوز سارع لطلب اذن للسماح بالحفر وتأكيد أو نفي النظرية.

وافق سعدي سليم، ولكن حفيده أعرب عن رأيه بصراحة انه غير موافق على قرار جده. أحست داليا بعدم ارتياح كمال سليم لوجودهم في مافيسو بالرغم من تأكيدات عمها وكليفورد العكس. وتمنت لو لم يزد حماس عمها بهم للدخول الى ممتلكات خاصة في بحثه عن المعرفة. فكمال سليم معه حق الى حدّ ما، فبالرغم من صغر حجم الحفريات التي كانوا يزمعون القيام بها كانت تعتبر اقلاقاً للراحة. ومن ناحية أخرى فان اي اكتشاف جديد سيكون مثيراً بالرغم من كثرة الآثار على شواطىء مافيسو، ولذا كان عليها ان تتفهّم وجهة نظر عمها المندفع لمهنته. وحالما تلقى اذناً بالسماح اشترى بطاقات الطائرة له ولها ولمساعده كليفورد ايتكن واستقدم بقية ما لزمه من عمال محلياً.

عمل كليفورد ايتكن مع عمها منذ أن ترك الجامعة وهو الذي

اقترح قدوم داليا معهما كمساعدة. لم يكن اقتراحه خالياً من دوافع شخصية فقد لاحظت داليا اهتمامه المتزايد بها مؤخراً بالرغم من عدم ادراك عمها لذلك. كان كليفورد شاباً هادئاً خجولاً ولم يسبق له ان لّمح لها بأية كلمة عن اغراضه، ولكن نظراته كانت تحكي ما يكنه لها من مشاعر ولم تكن داليا معارضة كلياً للفكرة.

عندما تفكر بكليفورد كانت تجده جذاباً هادئاً ورزيناً ولكنها كانت تشعر دائماً بانه يكبرها كثيراً بالعمر في حين أنه لم يتجاوز السادسة والعشرين.

وتنهدت داليا متطلعة الى النجوم ثم اخذت تتأمل تلك الخيمة حيث تركوا معداتهم وموجوداتهم مضاءة بمصباح صغير. كانوا ينامون في بيت سعدي سليم بناء على اصراره الا ان عليهم تقبل موقف حفيده الجاف.

حان وقت عودتهم الى البيت لتناول طعام العشاء وكان عليها ان تحثّ عمها على ترك عمله لئلا يحرجوا أنفسهم كما حصل معهم في الاسبوع الماضي.

لم ترغب داليا بالذهاب بمفردها وخاصة لئلا تواجه نظرات كمال سليم غير المشجعة. كانت السيدة ريتوار في منتهى اللطف ولم تشارك ابن اختها نفوره من الزوّار الا انها لم تكن ربة المنزل.

نظرت داليا الى ساعة معصمها وأحست بوجوب المغادرة فاتجهت الى الخيمة تجتاز الطريق بين الاشجار والنباتات العبقة.

وشهقت بصوت عال عندما فوجئت بأحدهم يقطع عليها طريقها، وتسمّرت مستندة الى نبات المانغوليا محدقة به، وبدا لون عينيها أسود تحت ضوء القمر بدلا من لونها الطبيعي الاخضر، وتوقف قائلا:

«الآنسة كرومبتون».

كان كمال سليم فارع الطول، أطول من كليفورد أو عمها، وبدا لها في تلك الاضاءة الخافتة اشد سمرة مما كان في الحقيقة. لاح شعره اسود فاحماً بينما هو بني اللون وبدت عيناه سوداوين مشعتين في حين أن لونها بني قاتم. كان تركي الملامح لانه لم يرث الشيء الكثير من والدته الفرنسية، واحست داليا بفخره بملامحه القوية الملفتة للنظر، كان ذا حاجبين مستقيمين ووجنتين عاليتين، يتصرّف كأنه باشا تركي قديم. كمال سليم في الثانية والثلاثين من عمره وما زال اعزب ولطالما تساءلت داليا عن السبب.

أحست داليا بالقلق والاضطراب لنظراته الجريئة وحاولت التظاهر بالعكس وقالت:

«فاجأتني، لم أرك...».

تجاهل شكواها ولم يعتذر لها لأنه فاجأها وانما نظر الى الخيمة حيث تعالى صوت عمها بحماس وهو يتحدث عن حجر وجده وهو جزء من المبنى الاساسي للهيكل. وسألها كمال سليم بتهكم قائلا:

«هل وجد البروفسور كرومبتون شيئاً مثيراً يا خانم؟».

واحمرّت وجنتا داليا مجيبة:

«حققنا بعض النجاح اليوم، فقد وجدنا ما يؤكد وجود هيكل هنا وبالطبع فهذا شيء مثير جداً لحماس عمي آرثر، بل مثير لنا جميعاً».

«آه، بالطبع».

وضاقت بلهجته المتهكمة لكنها لم تودّ ان تظهر له غضبها. بينما تابع هو قائلا:

«يبدو لي أنك على وشك تذكيرهما بموعد العشاء».

كان دائماً يكلّمها بلهجة متعالية وربما كان لهذا علاقة بموقف الرجل التركي من المرأة؛ الا ان جده سعدي سليم تحلّى بكرم الاخلاق ولطف المعشر. وأجابته بهدوء:

«لن نتأخر يا سيّد سليم».

وتهيأت للدفاع عن عمها لو ذكر تأخيرهم في المرّة السابقة، وبدلا عن ذلك تأملها للحظات ثم سألها:

«أنت متحمسة للتاريخ بنسبة حماس عمك يا خانم؟».

وتساءلت عن سبب اهتمامه المفاجىء وغير المتوقع، يا له من رجل غريب لا يمكن لها ان تشعر بالارتياح بوجوده. أخذت تتأمله ببزته البيضاء الرسمية التي زادت من جاذبيته وشعرت بتسارع ضربات قلبها محاولة ايجاد جواب مناسب وقالت:

«آه، نعم بالطبع انا اهتم بالتاريخ ولكن بالنسبة الى عمي فالتاريخ حياته وهو يعني له اكثر بكثير مما يعني لهاوية مثلي».

ونظر اليها بثبات متسائلا:

«وهل يا ترى اهتمام السيد ايتكن يضاهي اهتمام عمك ام ان له اهتمامات اخرى»؟

ولم يكن من الصعب عليها ان تفهم ما يعني من كلامه، فالتحدي واضح في نظراته. ارتبكت ولم تجد جواباً على كلامه، وشردت تفكر برائحة الازهار والورود العبقة وحفيف أوراق الشجر ونسيم البحر الدافىء والسماء المنقوشة بنجومها والقمر المتلألىء واحست كأنها في حلم لا تريد الاستيقاظ منه. وذكّرها كمال سليم قائلا:

«لم تجيبني. ام انك لا تعرفين جواباً»؟

وأجابت وهي تستعد للرحيل بصوت مرتجف:

«لا يمكنني الاجابة عن السيد ايتكن، ويجب ان تعذرني الآن يا سيّد سليم».

«بالطبع».

ولم يحاول ان يبتعد عن طريقها، حبست انفاسها وسارت بخطوات جانبية لئلا تضطر للالتصاق به، ولم يكن من الممكن تحاشي شيء من التماس مما أربك كيانها. واعتذر مبتعداً قليلاً.

لكنها تابعت مسرعة.

كان طعام العشاء في ماقيسو بأنواعه المتعددة فوق طاقة داليا ولم تعرف فيما لو كانت برفضها للنوع بعد الآخر تخلّ بآداب الطعام، وخاصة ان كمال سليم كان يلاحظ تصرفها.

كانت هذه الولائم المسائية مثيرة وغريبة تماماً كالاجواء

المحيطة بها، فبالرغم من ان سعدي سليم حاول ترتيب بيته على الطريقة الغربية لكنه كان رجلا تقليدياً بطبعه فلم يستغن عن السجاد الشرقي الجميل والشمعدانات البرونزية وأوعية الماء المعطر. ولا عجب ان يشعر عمها كأنه في بيته. ورمقته بنظرة خاطفة فوجدته منهمكاً بالمحادثة مع مضيفه، وبدا لها ببزته الواسعة القديمة غير متناسب مع المكان. كان عمها يلمّ باللغة التركية لكنه احجم عن استعمالها في حضور سعدي سليم لباقة منه لاجادة الأخير اللغة الانكليزية بشكل ممتاز.

كان سعدي سليم غنياً وذا نفوذ كبير تماماً كما توقعته، الا انه كان اقل استبدادية من حفيده، وعلى ما يبدو لم ينفر من صحبة عمها.

كان كبيراً بكل ما تحمل الكلمة من معنى، وبدا انه اكبر سناً من عمها بقليل، بملامحه القوية التي ورثها عنه حفيده وشعره الموشح بالبياض، رغم انه يكبره بثلاثين عاماً على الاقل.

اما كليفورد الذي كان يتابع المحادثة باهتمام، فهو ذو عينين رماديتين مشعتين، ولم يكن اطول قامة من عمها بل اقوى بنية واقل ثقة بنفسه، جذاباً ولكنه حالم وخيّل اليها انه من النوع الذي لا يحوز على اعجاب كمال سليم.

وتحولت بنظراتها على مضيفها وانتابها الشعور بالارتباك الذي طالما انتابها كلمانظرت الى كمال سليم. ولكأنه احس باهتمامهاعندما تساءلت عن مدى جاذبيته فنظر اليها بجرأة مما سبّب احمرار وجنتيها فحوّلت نظرها عنه. كانت خالته السيدة

رينوار تجلس الى جانبها، وشعرت ان وجودهما نوع من التحضّر الغربي برأي سعدي سليم برغم كل ما يظهر من اخلاق كريمة.

وسألتها السيدة رينوار قائلة:

«هل احرزتم بعض التقدم اليوم»؟

واومأت داليا مجيبة:

«الى حدّ كبير يا سيدة، فقد اصبح من المؤكد وجود هيكل هنا وهذا شيء شيّق بحدّ ذاته».

وابتسمت السيدة رينوار قائلة:

«وهكذا اذن... هناك دليل على وجود آثار للقدماء في منطقتنا».

واومأت داليا مؤكدة:

«هكذا على ما يبدو».

وهزت السيدة رينوار برأسها قائلة:

«ولكن انا على ثقة بان هذا معروف لدى رجالنا بدون القيام بالحفريات».

وادركت داليا من تعني السيدة رينوار بحديثها فرمقت كمال سليم بنظرة سريعة وحمدت ربها أنه لم يسمع الحديث.

وتابعت السيدة رينوار قائلة:

«انك فتاة جميلة جداً».

وابتسمت داليا دون ان تجيب وتساءلت فيما لو كان أياً من كليفورد او كمال سليم يجدها جميلة، وخاصة كمال سليم الذي كان يعتبرها ضيفاً غير مرغوب فيه في منزل جده.

كانت السيدة رينوار ذات شخصية محببة وتسهل المحادثة معها، وحتى بعد قضاء ثلاثين عاماً في تركيا ما زالت تستعمل لغتها الام احياناً. كانت قصيرة القامة ميّالة الى البدانة وشعرها اشيب، وتحلّت بنفسية مرحة.

تزوج الابن الوحيد لسعدي سليم من اخت السيدة رينوار اثناء الحرب العالمية الثانية وقتلا وكذلك زوجها وكان كمال آنذاك رضيعاً، وحالما اتاحت لها الفرصة، احضرت السيدة رينوار الرضيع لجده وقررت البقاء عنده لما لقيت من حسن ضيافة وترحاب اعترافاً لها بالجميل. وكرّست نفسها لتربيته كأنه ابنها مع ذلك شبّ متحلياً بصفات ابيه وجده التركية، ويبدو انها لم تندم على بقائها في الغربة طوال هذه الفترة.

وقالت السيدة رينوار متسائلة:

«حقاً تحبين الحفر بحثاً عن الآثار يا عزيزتي»؟

وهزت داليا رأسها ناكرة وقالت:

«انا احتفظ بالسجلات فقط وهذا هو سبب وجودي. احياناً يسمحون لي بالكشف عن الموجودات ولكني لست بارعة في ذلك».

وهزت السيدة رينوار رأسها قائلة:

«آه، فهمت الآن».

وأبدت جهلها الكلي بموضوع الآثار وتابعت قائلة:

«هذا الموضوع يبعث الملل في نفسي، الا ترغبين برؤية ما هو اكثر اثارة من حطام؟ الا تودين مثلاً الذهاب في نزهة في

السيارة للاطلاع على بعض معالم اناتوليا الجميلة»؟

لم تكن داليا متأكدة من جدية السؤال ولذا فكرت قليلاً قبل ان تجيب، فهي تود رؤية معالم المدينة او حتى الذهاب للتسوق ثم في نزهة على الشاطىء، وادركت كم ان حركتها محدودة في هذه الايام. فلم يخطر لكليفورد ان يعرض عليها نزهة في السيارة لتتفرج على معالم المدينة ولكن لا يمكن لها ان تلومه لان عمها كان متفرغاً كلياً لمهمته ولذلك فهو يتوقع من مساعده التفرغ الكامل. هذا بالطبع لا يعني ان عمها آرثر يعارض خروجها في نزهة مع كليفورد احياناً ولكنه لم يخطر له ان هناك من له اهتمامات اخرى، بالاضافة الى ان كليفورد لا يتحلى بالجرأة ليعرض الفكرة حتى لو خطرت له.

وقالت داليا:

«يسرني ان اذهب في نزهة للتغيير».

ولاحظت ان كمال سليم ينظر اليها باهتمام.

وأجابتها السيدة رينوار قائلة:

«اذن، سنذهب، وما دام عمك والسيد ايتكن مشغولين في اعمال الحفر فسيأخذنا كمال في نزهة. ما رأيك»؟

ونظرت الى ابن اختها بمرح وسألته:

«أليس كذلك يا عزيزي»؟

وتجنبت داليا نظراته الثابتة، واحتبست انفاسها. فلم تخطر لها امكانية النزهة بصحبة كمال سليم بالاضافة الى انها تشك بانه يرحب بالفكرة.

واجاب كمال سليم بهدوء وبلا تردد:

«هذا اذا وافقت الآنسة كرومبتون، هل توافقين يا خانم»؟

ولم تصدق داليا أذنيها وانتبهت الى كليفورد الذي استرعى اهتمامه الحديث وقطّب محاولاً التأكد مما يجري.

واحست بالاضطراب لمجرّد تفكيرها بالنزهة بصحبة كمال سليم حتى ولو بوجود السيدة رينوار وأجابت قائلة:

«بالطبع اكون ممتنة لو اصطحبتنا يا سيد سليم».

وهز رأسه متمتماً بضع كلمات مما استرعى انتباه عمها فقال كمال مبتسماً:

«اذا كنت تسمح لي فسأصطحب ابنه اخيك في نزهة برفقة خالتي».

وبدت عليه المفاجأة وقال:

«آه... بالطبع كمال بك، هذا لطف منك». واستدار الى داليا وقال:

«تمتعي بوقتك يا عزيزتي داليا فهناك معالم جميلة جداً على طول الساحل، ويجب ان تتفرجي على مسرح أسبيندوس، ومدينة بيرج، وكلاهما على مقربة من هنا».

وابتسمت داليا، فالآثار كانت كل ما يهتم به عمها ولكن السيدة رينوار هزت رأسها بلطف وقالت:

«لا، لا يا سيّدي، نحن نود ان تصطحب داليا للتسوق او للسباحة، وهذا شيء مختلف عن الآثار والابنية القديمة».

واستدارت الى داليا قائلة:

«هل ترغبين بالسياحة يا عزيزتي»؟
وقالت داليا:
«نعم، هذا يسرني جداً».
واومأت السيدة رينوار معلنة:
«اتفقنا اذن سنذهب غداً».
ونظرت داليا الى عمها معتذرة، هل سيتفهم يا ترى لماذا أرادت الخروج ابعد من مساحة أراضي السيد سعدي سليم الجميلة. وأحست بالذنب لانه سيصعب عليه تفهّم حاجتها للتغيير وقالت:
«لن اغيب طويلا يا عمي ولكن اود ان اذهب للتسوّق مع السيدة رينوار وكذلك السباحة اذا كان امكن».
وتدخل كمال سليم قائلا بهدوء:
«بالطبع فاني أجيد السباحة ويجب الا تشعري بأي خوف يا خانم».
وشدت داليا على قبضتيها مجيبة:
«بالطبع لن اخاف».
لم يخطر لها مثل هذا الاهتمام الشخصي واحست بالاضطراب عندما تخيّلت كمال سليم القوي البنية يسبح جنباً الى جنب معها. وشعرت بالزوغان لمجرّد تصورها ذلك.
وقال كمال سليم:
«سنذهب الى لارا فهي لا تبعد عن هنا اكثر من عشرين كيلومتراً، والشاطىء هناك ممتاز وليس مكتظاً بالمستحمين في

هذا الوقت من العام».
هل من المعقول انه لا يرغب بوجود الفضوليين حولها. . .
وتلاقت نظراتها وقالت:
«انا على يقين من جمالها، ويسرّني جداً ان اذهب».
واومأ برأسه قائلا:
«اذن سنذهب يا خانم».
بدت الدهشة على عمها والسعادة على السيدة رينوار، ولما عاودت داليا تناول طعامها لاحظت الضيق على وجه كليفورد ولم يكن هنالك من تفسير لذلك الا ان خروجها مع كمال سليم لم يرق له. وقال بصوت هادىء:
«لو عرفت انك تودين السباحة لكنت اصطحبتك، لماذا لم تذكري ذلك»؟
احست داليا بان الجميع يراقبونها منتظرين سماع ما لديها من جواب بينما يتابعون تناول طعامهم، وهزت رأسها قائلة:
«لم اود ازعاجك، فانت مشغول جداً مع عمي آرثر ولم ارغب بان تترك العمل عندما بدأت الامور تتبلور».
وحدّق فيها كليفورد باستغراب وكأنه وجد رغبتها في التغيير صعبة الفهم وقال:
«فعلا ان الامور بدأت تتبلور ولهذا لا استطيع تفهّم رغبتك الفجائية بان تذهبي في نزهة».
وقال سعدي سليم بهدوء:
«وربما انك مللت التاريخ يا داليا خانم».

وهزت رأسها محاولة ايجاد جواب حقيقي ولبق وقالت مبتسمة:

«لا، ابداً. لكني اود رؤية المزيد من بلدكم الجميل، فأنا على يقين بان هناك ما يستحق الرؤية في تركيا اكثر من حطام هيكل قديم».

وأومأ برأسه وقد سرته لباقتها قائلا:

«بالتأكيد هناك الكثير، وكذلك ستجدين حفيدي معلماً ممتازاً في كثير من الأمور، يا داليا خانم، وستكتشفين الكثير عن بلادنا وشعبها بارشاداته».

وبدا كلامه مبطناً وكأنه توقعها ان تمضي ما تبقى من فترة اقامتها برفقة كمال سليم، في حين انها كانت على يقين بان الاخير لم يكن ينوي ذلك، ولم تكن هذه رغبته ورمقت كمال بنظرة خاطفة قائلة:

«ولكن لا يمكن ان اكبد كمال بك مثل هذا العناء تكراراً، فأنا متأكدة ان لديه ما هو أهم».

وبادر كليفورد مؤكداً قبل ان يتدخل كمال في الحديث وقال:

«وانا سأصطحبك الى اي مكان تشائين».

ونظر اليه عمها من فوق نظارته قائلا:

«لا اظن ذلك يا عزيزي، فانا الآن بحاجة اليك اكثر من اي وقت مضى وقد اقتربنا من هدفنا، بالاضافة الى ان داليا ليست بحاجة لأن تتبعها اينما كانت، أليس كذلك يا عزيزتي»؟

ونظرت داليا الى كليفورد بتعاطف وتفهّم، اذ كانت تود صحبته ولكن عدم وجوده لن يعكر صفو نزهتها وخاصة ان كمال سليم سيكون دليلها. ونظرت الى كمال الذي كان منهمكاً يتناول طعامه ثم قالت لعمها:

«سأكون بخير».

ولم تتمكن من تجنب نظرات كمال الذي اجابها:

«بالطبع ستكونين بخير يا خانم، ألم أعدك بذلك؟».

٢ - جولة سياحية

وفي صباح اليوم التالي خرج عنها الى العمل بصحبة كليفورد الذي رمقها بنظرة عاتبة قبل مغادرته. وجلست داليا على احدى الوسائد في الصالون الكبير الذي كانت تفضله بما فيه من المرايا والسجاد، فقد عكس جواً تركياً اصيلاً. واخذت تفكر فيما لو كانت ستسر بصحبة كمال سليم. بالرغم من انه اظهر استعداده، لكن الحقيقة هي ان خالته فرضت عليه النزهة، ولذا فهي ليست اكيدة من حقيقة مشاعره. ودخلت السيدة رينوار مبتسمة لتقطع عليها افكارها محيية اياها ومعربة عن اعجابها بثوبها الأزرق الفاتح وقالت لها:

«رائع، انك تبدين رائعة يا عزيزتي».

واجابتها داليا وهي تبحث بنظراتها عن كمال متسائلة هل غيّر رأيه وقالت:

«شكراً يا سيدة».

وكأن السيدة فهمت ما يجول في خاطرها عندما قالت:

«كمال سيجلب السيارة وسيعود خلال لحظات قليلة».

وتأكدت من ان داليا لم تنس النظارات الشمسية والقبعة وانها اخذت ثياب السباحة وقالت لها السيدة رينوار مبتسمة:

«سنذهب اولاً لزيارة انتاليا وربما نقوم ببعض التسوق ثم سنجد شاطئاً جيداً للسباحة يا عزيزتي، ولا بد انه سيكون يوما ممتعاً لك ولكمال، اليس كذلك»؟

وفوجئت داليا لانها صنفتها مع كمال وابتسمت بتشكك وقالت:

«لا يمكنني ان اجيب عن كمال بك، اما انا فإنني اتطلع لقضاء يوم ممتع».

«حسناً».

وتأبطت السيدة رينوار ذراعها معربة عن سرورها، ربما لصحبتها لانثى بعد ان قضت فترة طويلة في بيت يخلو من النساء.

كان لسعدي سليم ثلاث بنات ولكنهن متزوجات ولهن اولاد، ومنذ وفاة زوجته خلا البيت من العنصر النسائي الا من الخدم.

وسألتها داليا

«هل تذهبين للتسوق دائماً يا سيدة»؟

«كلما احسست برغبة».

ثم ابتسمت فجأة لانها ادركت قصد داليا من السؤال فبادرتها قائلة:

«ولكن عندي صديقات ازورهن يا عزيزتي، وهذا هو بيتي وانا سعيدة هنا».

«آه، طبعاً، كنت اتساءل فيما لو كنت...».

وتوقفت داليا باحثة عن الكلمات المناسبة، فبادرتها السيدة رينوار متممة لها:

««فيما اذا كنت اشعر بالوحدة؟ لا يا عزيزتي، حياتي مليئة. بالطبع سأكون اكثر سعادة عندما يتزوج كمال».

وهزت بكتفيها وتابعت:

«ربما سيسمحون لي بالاعتناء باطفال كمال».

«آه، طبعاً انا متأكدة من ذلك».

وفوجئت داليا لادراكها ان كمال على عتبة الزواج. ولم يكن من السهل عليها ان تجري مثل هذه المحادثة عن شخص تتأثر به وتجده جذاباً بشكل لا يقاوم. وتساءلت عن السبب الذي يدفع السيدة رينوار لفتح مثل هذا الحديث الشخصي معها. وشعرت بالاضطراب وقالت:

«لم يكن عندي فكرة ان كمال...».

وتوقفت عن الكلام واحمرت وجنتاها، فابتسمت لها السيدة رينوار وربتت على يدها وقالت:

«وانا ليس عندي فكرة يا عزيزتي، ولكنني آمل ان يجد زوجة مناسبة قريباً ليسعد جده وخالته. فقد حان وقت زواجه».

وحاولت داليا ان تتظاهر باللامبالاة وابتسمت، ولكنها تساءلت ان كان كمال مرتبطاً بفتاة تركية جميلة وغنية ليتزوجها. فليس من المعقول ان يتقبل كمال سليم اقل من ذلك. وحاولت ان تعيد نفسها الى الواقع واذا بكليفورد يقترب منها والكآبة تبدو عليه، مما اشعرها بالذنب.

كان يرتدي بنطالاً قصيراً وقميصاً ازرق باهتاً، وتقدم منها مقطباً وهي تقف الى جانب السيدة رينوار وقال:

«ظننتك ذهبت!».

ونظر الى السيدة رينوار متمنياً ابتعادها ليتسنى له الحديث. وفهمت داليا قصده وقالت:

«ذهب السيد كمال... لاحضار السيارة. هل هناك شيء؟ هل اردت محادثتي بشيء خاص»؟

ولم يجبها كليفورد للحظة ثم نفث دخان غليونه وكان واضحاً انه اراد ان يحدثها ولكن وجود السيدة رينوار منعه.

وسرعان ما ادركت السيدة رينوار ان وجودها غير مرغوب فيه. فقالت:

«سأتركك يا عزيزتي لتتكلمي مع السيد ايتكن، ولكن لا تطيلي الحديث لأن كمال سيصل خلال لحظات».

«لا، بالطبع سأكون جاهزة».

وراقباها وهي تخرج من القاعة الى الحديقة ثم التفتت داليا

الى كليفورد باستغراب وقالت:

«هل هناك ما اردت قوله لي»؟

واستغرق بضع لحظات قبل ان يجيبها، محاولاً ايجاد الكلمات المناسبة وقال:

«لا اعلم كيف ابدأ حديثي معك».

ولما كانت داليا تنتظر بفارغ الصبر وصول كمال سليم بسيارته في اي لحظة، تمنت لو انه اسرع بحديثه.

وفرغ صبرها فقالت:

«انا آسفة يا كليفورد ولكن كمال سليم سيصل حالاً بسيارته. الا يمكن تأجيل حديثك حتى عودتي». وازداد تقطيباً، وتساءلت فيما لو ان ذهابها مع الغرباء يزعجه، فبالرغم من انه لم يفصح لها عما يكنه تجاهها فهي مدركة لمشاعره، ولكن موقفه الآن يوحي بأن مشاعره اعمق بكثير مما تخيلت. شد على غليونه بقوة حتى خيل اليها كأنه سيكسره في اي لحظة ثم قال لها بأنفاس متقطعة:

«الا تعرفين ما هو شعوري؟ الا تعلمين انني مستعد لاصطحابك الى اي مكان تريدينه فيما لو عرفت بذلك؟ لماذا لم تطلبي مني؟ لماذا طلبت من سليم؟ الم يكن بامكانك ان تذكري لي بانك مللت من اعمال الحفر والبقاء في مكان واحد؟ لكنت اصطحبتك بكل طيبة خاطر».

وفوجئت داليا بموقفه فلم يخطر لها مدى استيائه من خروجها مع كمال سليم. فهي لم تتفهم مشاعره. وسارعت بالنكران

قائلة:

«ولكني لست متعبة ولم اشعر بالملل، ولم اقصد الاساءة لمشاعرك، ولكن عندما سنحت لي الفرصة لتغيير الجو لم امانع».

واخذ بيدها بين يديه وضغط عليها بشدة قائلاً:

«ولكن لماذا لم تسأليني؟»

وفكرت بالأمر للحظات، حقاً كان بامكانها ان تذكر له ذلك، ولكنه بدا منهمكاً كلياً في العمل، ولم تدرك انها تسيء الى كليفورد بقبولها دعوة السيدة رينوار، وقالت:

«لم افكر بالخروج الى اي مكان الى ان اقترحت علي السيدة رينوار، وما من داع لتشعر بالضيق فكل ما هنالك اننا سنذهب للتسوق ومن ثم للسباحة».

وحدق بها للحظة دون ان ينبس بكلمة وبدت عليه العصبية وقال:

«لن ينتهي الأمر عند ذلك. ستخرجين مرات اخرى، فالسيدة رينوار لها اغراضها الخاصة من وراء هذه النزهة».

واجابته مقطبة:

«اظن اني لا افهم ما تعني».

فاجابها بضيق ولكن ببرود:

«ربما انا مخطئ، ولكن على ما اظن السيدة رينوار تخطط لك شيئاً لا يعجبني على الاطلاق».

«تخطط لي؟»

وتسارعت ضربات قلبها لدى تفكيرها بماهية شكوكه وقالت:

«اظن انك تبالغ بالأمر يا كليفورد ماذا يمكن للسيدة رينوار ان تخطط لي؟»

وتأملها للحظات قبل ان يجيب وبدأ ينفد صبرها عندما سمعت صوت السيارة في الخارج ولكنها لن تخرج حتى تعرف ماذا قصد كليفورد، وسمع هو ايضاً صوت السيارة وتطلع الى الباب واستدار اليها مرة ثانية وقال:

«اظن انك تعلمين ما اقصد، فسعدي سليم والسيدة رينوار يرغبان بتزويج كمال واظن ان السيدة تعرف من اختارت لتكون العروس لابن اختها الغالي».

«كليفورد. . .».

ولكنه كان في طريقه للخروج، وحدقت به وهو يغادر مندهشة. وتقطعت انفاسها وشعرت بتسارع ضربات قلبها، واذا بكمال يدخل، واحست بانه يصعب عليها مواجهته بعد ما ذكره كليفورد ولكن ما من مفر بعدما اصبح على مسافة قليلة حتى انه سمعها وهي تنادي كليفورد. ونظر اليها بصمت متأملاً وجنتيها المحمرتين ورفع أحد حاجبيه متسائلاً ببرود:

«هل هناك ما يزعجك يا خانم؟»

وهزت رأسها نافية وقالت:

«لا، لا ابداً».

وتأملها للحظة وكأنه شعر بكذبتها ولكنه اومأ برأسه وقال:

«اذن، اذا كنت جاهزة فنحن في انتظارك».

وشعرت بالقلق والارتباك امامه اكثر من اي وقت مضى وحاولت ان تجد سبباً تتذرع به لعدم الذهاب وقالت:

«اذا كنت تفضل الا نذهب يا سيد سليم، فليس عندي مانع. انا اعلم ان السيدة رينوار احرجتك لتخرج معنا اليوم واذا كنت تفضل. . . .».

وفوجئت عندما تأبط ذراعها بقوة واتجه نحو الباب وهو يقول:

«انا لم اجبر ولن احرج او اجر على القيام بما لا اريده يا خانم. اعرفي عني هذا على الاقل».

واجابته وما زالت تحاول ايجاد سبب تتذرع به:

«انا اعرف ولكني ظننت. . . .».

وقال لها بثبات وما زال يتأبط ذراعها:

«لا تدعيني انتظر اكثر من ذلك فانا لست رجلاً صبوراً».

«اعرف هذا ايضاً».

وللحظة تخيلت انه سيغضب ويعدل عن الخروج، ولكن بالعكس اكتفى بأن ابتسم وقال:

«اذن لا تضيعي الوقت اكثر يا خانم».

وخرجت معه مرغمة وهي تتساءل كيف سيتسنى لها ان تتصرف مع كمال سليم لمدة يوم كامل بعد ان سمعت ما قاله كليفورد.

وبعد مسافة قليلة قالت السيدة رينوار:

«انتاليا».

ونظرت داليا حولها لتشبع من معالم تلك المدينة التي خالتها مدينة الاحلام بشمسها المضيئة وسمائها المليئة بالنجوم.

كانت الشوارع محاطة بأشجار البرتقال وبانواع النباتات والازهار، وكثرت السواقي والبحيرات واشجار الصنوبر.

بنيت مدينة انتاليا حول خليج رائع، وانسابت الجداول فوق الصخور من جبال طوروس. وقد اعطاها شاطئها الصخري ميزات مختلفة استفاد منها البناؤون، المنازل والأبنية، ما عدا الميناء، ارتفعت على الصخور والمنحدرات حيث امتدت المدينة بطرقها المتعرجة والضيقة.

وقالت داليا:

«انها رائعة».

وانتبهت الى كمال يتبادل نظرات كالاشارات مع خالته.

وسألتها السيدة رينوار مبتسمة:

«هل تودين الذهاب للتسوق ام انك تفضلين جولة في انتاليا؟».

ولم تتردد داليا في اختيار الجولة في انحاء مدينة انتاليا قائلة:

«يبدو ان هناك الكثير ليراه المرء».

وتساءلت فيما لو انها خيبت امل السيدة رينوار قائلة:

«هل يزعجك ذهابنا في جولة يا سيدة؟ تبدو المدينة جميلة جداً ولم يسبق لي ان رأيت مدينة تركية قبلاً».

«لا ابداً يا عزيزتي».

وقالت لكمال:

«لا تمانع اذا تفرجت داليا على معالم المدينة يا عزيزي، اليس كذلك؟».

فرمق داليا بنظرة سريعة وقال بهدوء:

«انا في امرتك».

وكان هذا كافياً ليثير ضربات قلبها، واحمر وجهها. بينما تابع هو قائلاً:

«ولكن اولاً يجب ان نترك السيارة في أحد المواقف فليس من الممكن رؤية معالم انتاليا من السيارة».

وقالت داليا:

«انا اسفة اذا سببت لك الازعاج».

ومرة اخرى تلاقت نظراتهما وقال كمال:

«حسن الضيافة من عادات الاتراك، وهذا اقل ما استطيع فعله لضيفة في بيت جدي».

ولم تجد داليا ما تجيب به على ملاحظته، واشارت السيدة رينوار الى عربات الحنطور التي تجرها الخيول بينما ذهب كمال ليوقف السيارة. وقالت السيدة رينوار:

«هذه هي الطريقة المثلى لرؤية معالم المدينة. انها ظاهرة فريدة وجميلة، اليس كذلك؟»

ووافقتها داليا بقولها:

«انها رائعة».

والقت نظرة على العربات المزخرفة بالمصابيح البرونزية

قائلة:

«هل يمكننا حقاً الذهاب في نزهة في احدى هذه العربات؟».

ولم يجبها كمال وانما ساعد خالته للخروج من السيارة واستدار ليساعد داليا ورمقها بنظرة ثابتة رافقتها ابتسامة خفيفة وقال:

«ما دمت قد قررت ان تلعبي دور السائحة يا خانم فهذه العربات هي افضل طريقة للتنقل».

واحست بالاضطراب عندما امسك ذراعها بقوة وحاولت ان تتحاشى نظراته بينما نزلت من السيارة. لم تكن اكيدة من حقيقة مشاعره تجاه كونه دليلاً سياحياً لها وتمنت للحظات لو انها جاءت مع السيدة رينوار بمفردهما وقالت له بتردد:

«انا آسفة يا سيد سليم اذا كنت احرجك كسائحة، ولكن يمكنك الا تزعج نفسك اذا رغبت فسأذهب وحدي او مع السيدة رينوار».

واصرت السيدة رينوار بقولها:

«ولكن، بالطبع سأتي معك يا عزيزتي».

ونظرت الى ابن اختها بنظرات لائمة وتابعت:

«كمال يمزح عندما يناديك سائحة».

كانت داليا على يقين من صحة توقعاتها ونظرت الى كمال بتحد وقالت:

«لا اظن ذلك يا سيدة. فرأي السيد سليم بي ليس ممتازاً

وكوني سائحة يزعجه فمن الافضل ان اذهب وحدي».

عرفت داليا انها كانت فظة ولكن شعوراً داخلياً دفعها لأن تشرح له حقيقة موقفه تجاهها على الرغم من حسن المعاملة التي يحاول التظاهر بها.

وفوجئت السيدة رينوار ولم تعد تعرف كيف تتصرف وماذا تفعل ولكن ردة فعل كمال كانت اسرع، فقد أمسك بذراع داليا بقوة مما بعث شعوراً غريباً عندها وقال بحزم:

«انت تدعين بانك تعرفينني بشكل جيد يا خانم».

وهزت رأسها بالنفي وقالت باصرار ونفس متقطع:

«انا لا اعرف انك لم . . . انت لم ترغب بالقدوم وما من حاجة بك لتلعب دور الدليل السياحي الآن».

وشد على ذراعها بقوة اكثر حتى أوشكت ان تصرخ، وسألها بجفاء:

«اذن، تظنين بأنك تتمكنين من صرفي بسهولة يا خانم؟ انت وخالتي بحمايتي، وان رغبت ام لم ترغبي فلن اسمح لك بالتجول في الطرقات بمفردك».

وشعرت داليا بالارتجاف لقبضته القوية وخشونته، وارتبكت لانه لمس كل عصب في جسمها ولم تقو على الاجابة واكتفت بأن اومات برأسها. امسكته السيدة رينوار برقة مذكرة اياه انهم في مكان عام وقالت:

«كمال».

وبعد لحظة ترك ذراعها ونظر اليها وكأنه اراد ان يقول الكثير

ثم هز كتفيه متمتماً. وتنفست السيدة رينوار الصعداء وقالت:

«هل تخرج؟».

وشعرت داليا بالارتياح عندما اوما برأسه.

ولم يكن الجدل مع كمال سليم امراً سهلاً وستفكر مرتين قبل ان تحاول مرة ثانية.

ورافقتهم ضربات حوافر الخيول على الأرض طوال جولتهم. جلست السيدة رينوار الى جانبها بينما اتخذ كمال الجانب الآخر مكاناً له، ونظراً لضيق المكان لم يكن ممكناً عدم الاحتكاك مع مجاوريها مما اشعرها بزوغان في رأسها. وانبعثت رائحة عطر نفاذة توحي بروح السيطرة عند الرجل الشرقي. فارتعدت لا ارادياً ومن ثم حاولت ان تعيد نفسها الى الواقع وتركز على ما حولها.

وبدا سائق العربة وكأنه يعرف الاتجاه بسبب المحادثة القصيرة بينه وبين كمال قبل الانطلاق.

تجولوا في المدينة بينما كان كمال وخالته يشيران الى الاشياء ليعرفانها بها. وعلى الرغم من ان جده وعدها بأن حفيده دليل جيد استغربت تبرعه بالمعلومات. وبدا كل ما يذكره مشوقاً وهاماً بصوته الرخيم الهادىء، وبعد قليل انسحبت السيدة رينوار وتركت الحديث له واكتفت بالجلوس لتتمتع بالجولة.

كان اغرب ما رأته داليا البائعين الجوالين بمختلف مبيعاتهم وحاولت ان تستطلع ما يبيعون وتبين لها انهم يبيعون كل شيء من الشفرات الى البالونات ومن النظارات الرخيصة الى اوراق

اليانصيب. كلهم ينادون بحماس لترويج مبيعاتهم.

وعلى ما يبدو ان الجولة استغرقت اطول مما ادركت داليا عندما اقترحت السيدة رينوار انه حان وقت الغداء ونظرت الى ساعتها وادركت ان الوقت متأخر اكثر بكثير مما توقعت. اما حقيبة السباحة فقد خبأتها في صندوق السيارة ونسيت كل شيء عنها وعن السباحة اذ هناك الكثير للرؤية في ايتاليا.

تناولوا طعام الغداء في مطعم سياحي وربما كان ذلك لان كمال تقليدي بطبعه كجده، ودخول فتاة اوروبية الى مطعم يكثر فيه تواجد السياح لن يسبب الكثير من التعليقات. وتركت اختيار نوعية الطعام لكمال.

لم تزعجها نظرات حب الاستطلاع اطلاقاً فمن الواضح انها اوروبية المظهر بشعرها الاحمر وعينيها الخضراوين بالاضافة الى التناقض الكامل بين ملامحها وملامح كمال. تناولوا الشوربة ثم اللحم المشوي ولما كانت تتناول الحلوى لاحظت تغير نظرات السيدة رينوار عندما ربتت على ذراع كمال واومأت برأسها باتجاه الباب. وبدا كمال مقطباً، فاسترقت نظرة خفية الى الباب ولم تلحظ ما هو غريب، ثم لاحظت صبية وحيدة واحست انها سبب ارتباك السيدة رينوار.

دخلت الصبية باعتزاز وثقة بالنفس وبدا عليها التحرر من التقاليد القديمة، فهي لم تتقيد بالعادات الاجتماعية التي تحظر دخول امرأة وحيدة الى مكان عام. واحست داليا بالاضطراب عندما اقتربت الصبية منهم مبتسمة. ووقف كمال محيياً اياها

بانحناءته المعهودة ولم يبد عليه اي اضطراب او تغير. وحيت الفتاة كمال وبعد لحظات انتبهت لوجود السيدة رينوار وداليا وابتسمت للسيدة ولكنها قطبت عندما نظرت الى داليا وبادرها كمال بلباقة قائلاً:

«ضيفتنا انكليزية، انها الآنسةكرومبتون».

«داليا خانم، اود ان اعرفك بسونيا كوزلو وهي صديقة قديمة لي».

واشار الى كرسي بجانب خالته قائلاً:

«هل تتفضلين بالجلوس معنا».

وتعجبت داليا لاستعماله طريقة اقل رسمية معها، وتأملت سونيا كوزلو وحاولت ان تقدر ماذا عنى كمال بكلمة صديقة قديمة لي.

ومهما كانت طبيعة علاقتهما فلا بد انها سطحية الآن، لأن موقف كمال بدا رسمياً جداً. وهزت سونيا كوزلو رأسها تحية.

«آسفة ولكن ليس عندي وقت».

واحست داليا ان وجودها هو الذي دفع سونيا للرفض. وخيم الصمت للحظات وساد جو من التوتر، فتابعت داليا تناول البقلاوة. وقالت السيدة رينوار:

«سونيا كوزلو من الجيل المتحرر وستصبح دكتورة في العام المقبل واظن انها ستنجح في مجال عملها».

ولما لم تعرف داليا اذا كانت سونيا متزوجة، قالت وهي ترمق كمال بنظرة جانبية:

«ومن الغريب ان تتجول امرأة تركية وحدها، الا بمانع زوجها»؟

ولم تجبها السيدة رينوار بينما رفع كمال احد حاجبيه مجيباً:

«سونيا كوزلو غير متزوجة وهي لن تضحي بمهنتها من اجل اي زواج».

وعرفت داليا مدى حساسية الموضوع وارادت ان تعرف المزيد وقالت:

«الا يمكن لها ان تجمع بين الاثنين»؟

ونظر اليها كمال بثبات وقال بهدوء:

«قد تجد رجلاً يقبلها بهذه الشروط، اما انا فلست مستعداً لذلك».

٣- لقاء على الطريق

جلست داليا على كرسي صغير خارج الخيمة تسجل آخر ما توصلوا اليه في أعمال الحفر. وشردت تفكر في مواضيع لا تتعلق بالتاريخ أبداً، وساعدتها رائحة الورود العبقة لتسهب في تفكيرها: ماذا لو تسنّى لها ان تحيا بشكل دائم في هذه الظروف المعيشية المترفة في مافيسو. كان البيت بحد ذاته جميلا جداً، اما الحدائق فبدت كجنة بالنسبة لفتاة انكليزية متوسطة الحال. لم تكن تلك هي المرة الاولى التي تخيلت فيها نفسها تقضي بقية عمرها في مافيسو، ولكنها وجدت نفسها غير مناسبة لهذا الجو وخطر لها ان سونيا كوزلو قد تتناسب مع مثل هذا المحيط أكثر، وشعرت بالضيق لادراكها هذه الحقيقة.

فمنذ ان تعرفت بسونيا وهي تفكر بمدى عمق علاقتها مع كمال، فمن الواضح ان سونيا تكنّ بعض المشاعر الحقيقية تجاه كمال وكان ذلك واضحاً في تصرفاتها وعينيها ولكن شعوره هو لم يكن واضحاً لها.

واحست بالتذمر من نفسها لاهتمامها الزائد بأمور كمال الشخصية وحاولت ان تعيد نفسها الى الواقع، ونظرت الى كليفورد وعمها وهما يعملان واحست بضيقها لقلة اهتمامها بعملها مؤخراً.

بناء على نظرية البروفسور كرومبتون فان هذه الجهة من حديقة سعدي سليم كانت هيكلاً يونانياً قديماً وليس من المستغرب ان تضم مثل هذه الحديقة هيكلاً وشردت في تخيلاتها مجدداً بدون ان تعرف سبباً لقلقها.

كان عمها مستغرقاً كلياً في عمله ومن المستبعد ان يتفهم وجهة نظرها الرومنطيقية في الموضوع. وادركت فجأة ان كليفورد كان يراقبها، لقد تغير موقف كليفورد منها منذ زيارتها لاتاليا، فهو يجعلها تشعر بعدم الارتياح، يراقبها بشكل دائم وبحب استطلاع. لم يعلّق على خروجها لكنه سألها اذا سرّت في النزهة ولكنه ما زال منزعجاً لخروجها مع كمال.

وحدقت شاردة في قائمتها ورسمت اشارة استفهام متسائلة فيما لو كان يهمها فعلاً.

«داليا».

وضحكت من نفسها لعصبيتها وقالت:

«أفزعتني فلم اسمعك».

كانت نظراته حزينة مما أشعرها بوخز الضمير ولكن لماذا هذا الشعور.

وجلس الى جانبها متكئاً بيد واحدة على أحد الاعمدة التي اكتشفوها بالامس، وحدق بها للحظات قبل أن يقول:

«يبدو انك شاردة بعيداً. هل تشعرين بالقلق مرة ثانية ؟»

وحاولت نكران ذلك بالرغم من عدم تأكدها مما تشعر وقالت:

«لا أظن بأنني قلقة. لا بد انك تتخيّل الامور».

واجابها بحدة قائلا:

«لا اظن ذلك».

فاصرّت بهدوء قائلة:

«انا سعيدة، ولا اعلم لماذا تظن العكس».

«لأنني اعرفك».

وامسك بذقنها بدون سابق انذار ورفع وجهها محدقاً فيه ثم افلتها وهز رأسه بأسف.

حاولت ان تجيبه بالصوت الهادىء نفسه برغم ارتعاشها واضطرابها وقالت:

«انت لا تعرفني يا كليفورد».

وابتسمت ابتسامة خفيفة وتابعت محاولة التظاهر بالهدوء وقالت:

«أنا على ما يرام برغم كل ظنونك».

فوقف وهز كتفيه ورتّب شعره وقال:

«لا اعلم، ولكن هناك شيء ما في تصرفاتك يظهرك قلقة، كما لو كنت. . . هل تنوين الخروج مرة ثانية مع سليم ؟»

كان سؤاله بمثابة اتهام مما أزعجها، فوقفت بحدة وحدقت به محاولة ايجاد واحدة من ملامح كليفورد التي تعرفها فقد تغير اخيراً واصبح عدائياً مما زاد من قلقها وقالت:

«لم اتلق دعوة اخرى، ولكن فيما لو دعيت سأذهب، لأنني سررت في المرة الماضية وما من سبب لنكران ذلك».

واجابها كليفورد متهماً:

«لأنك كنت بصحبة سليم».

وهزت رأسها بعصبية مجيبة بصراحة:

«لا معنى على الاطلاق لتفسيراتك واستقراءاتك».

وبدا الغضب واضحاً في عينيه وأجابها بصوت مرتفع:

«وانا لم استقرىء شيئاً. وكل ما هناك اني لا اريد لك التورّط مع سليم لأنني لا أريدك ان تصابي بصدمة وصدقيني انه سيؤذيك صدقيني».

فأجابته داليا بغضب وقد اصطبغت وجنتاها بالحمرة قائلة:

«انا لست حمقاء. بالاضافة الى انك تبالغ في افتراضاتك لان كمال لا يفكر بشيء من هذا القبيل».

«كمال ؟»

ردد كليفورد الاسم بتعجب وغضب لاستعمالها اسم كمال مجرداً فأجابته بحدة:

«لا أريد ان اناقش الموضوع معك».

ووضعت القوائم التي كانت تعمل عليها بحدة وقالت:

«انا ذاهبة».

فناداها بقلق:

«الى اين انت ذاهبة يا داليا ؟»

«لا يهم الى أين. اطمئن فكمال سليم لن يكون معي وهذا كل ما يهمك».

ربما لم تراع شعوره ولكنها كانت عصبية الى حدّ فقدت اعصابها معه، وابعدت اغصان الاشجار عن طريقها بشدة وخرجت مسرعة وهي ترتدي بنطالا قصيراً وقميصاً بلا أكمام وصندلا خفيفاً.

«داليا. . . ارجوك».

توقعت انه لا شك ينظر الى عمها محاولا الاستئذان ليخرج وراءها بدلا من العودة الى العمل، واحست بوخز الضمير بعض الشيء لكنها قررت الآ تعود اليه وتابعت سيرها بين الاشجار والنباتات والورود، ولدى خروجها من الحديقة تذكّرت قبعتها التي نسيتها حيث كانت تجلس.

وشعرت بسخف تصرفها وتسرعها ولكنها لم تكن في مزاج عادي فقد تضاربت في نفسها مشاعر الغضب والاثارة. وسارت باتجاه البوابة غير عابئة الى اين هي ذاهبة.

وسارت في ظل الاشجار التي حذت الحديقة، ولم تشعر بأنها ترتكب خطأ بخروجها للسير بغية الترويح عن نفسها. كان

الطريق منحرفاً ولم يكن من المتوقع مرور الكثير من السيارات.

وخطر لها انها لا ترتدي لباساً محتشماً بمفهوم اهل القرية وقد يسبب لها الكثير من الاحراج فيما لو قابلت احداً ولكن كل ما ارادت هو تغيير الجو والترويح عن ضيق نفسها.

وفي نهاية الطريق الجبلي الذي سارت فيه بدت مدينة انتاليا كجوهرة تحت اشعة الشمس بشاطئها اللازوردي ومياهه الزرقاء.

بدت مدينة انتاليا قريبة جداً من النقطة التي وقفت فيها ولم يسبق لها ان ادركت مدى قربها وراودتها فكرة متابعة السير الى المدينة. كان منظر البحر رائعاً حيث انحدرت جداول الماء لتصب فيه وبدا كل شيء خيالياً، واحست داليا بالارتياح، ليتها تتمكن من التجوّل في هذه المدينة الرائعة مرّة ثانية خاصة اذا كان كمال سليم هو مرشدها السياحي.

وحاولت ابعاد صورة كمال عن مخيلتها لانها كانت دائماً تتخيّل صورة الفتاة التركية الجميلة سونيا كوزلو طبيبة المستقبل عندما تراودها صورة كمال. وخاصة انها لم تكن قادرة على ان تقرر فيما لو شاركها كمال مشاعرها ام لا.

ولاحظت احدى الاشجار الظليلة وتنفست الصعداء لانها تصلح ملجأ من حرارة الشمس المحرقة، بالاضافة الى ان المشهد في ظلّها كان خلاباً ويستحق التوقف عنده.

واستندت داليا الى جذع الشجرة لتتمل من ذلك المشهد الرائع.

ومرة اخرى عاودتها صورة كمال سليم وحاولت ابعاده عن مخيلتها مجدداً. ربما ان كليفورد على حق، واذا أساء كمال لها فما من احد تلومه الا نفسها، لانه لم يشجعها. وحتى لو وجدها جذابة فلن يكون ذلك الا من قبيل التسلية ولو اقتنعت بكليفورد لكانت في منأى عن المشاكل.

كانت داليا مستغرقة في افكارها الى حدّ انها لم تنتبه الى السيارة القادمة من طريق انتاليا حتى اقتربت وتذكرت فجأة ان ثيابها غير لائقة ولو رآها احدهم تقف في هذا الشكل لظنّ بها اسوأ الظنون. وبحركة لا ارادية استدارت حول جذع الشجرة مبتعدة عن الانظار. واقترب صوت محرك السيارة. واحتبست داليا انفاسها بعيدة عن الانظار وحاولت ان تستمع لصوت السيارة منتظرة ابتعادها ولكن على عكس ما توقعت توقف محرك السيارة وفتح باب السيارة واقترب احدهم بسرعة حيث وقفت داليا، واغمضت عينيها لتستعد للاجابة على دعوة غير مرغوب بها. وفتحت عينيها اخيراً لتواجه ذلك الوجه الاسمر المقطب: كمال سليم.

وتسارعت خفقات قلبها بجنون، وكادت تبتسم لارتياحها لكن تعابير وجهه لم تشجعها على ذلك. فقد بدا عليه الضيق وعدم الرضى وتمسكت بجذع الشجرة ولعقت شفتيها محاولة تحاشي نظراته.

وتأملها من رأسها حتى اخمص قدميها متسائلاً:

وهل جننت ؟!

دهشت داليا لسؤاله بينما تابع اسئلته قائلا:
«لماذا انت هنا؟ وبهذه الثياب؟ الا يوجد عندك عقل؟».
ونظرت الى ساقيها واحست فجأة وكأنها ظهرت عارية في مكان عام وشعرت بالخجل.
وضمت يديها الى صدرها بحركة دفاعية وأجابته:
«خرجت لأتمشى».
وحدق بها قائلا:
«بهذه الثياب!»
وتحولت لهجتها الى ضيق نوعاً ما ورفعت رأسها وكأنها أرادت ان تفهمه انه ما من حق له بانتقادها او ثيابها وقالت:
«لم اغيّر ثيابي ولكن هذا لا يعني انه يحق لك ان تنظر اليّ كما لو كنت. . . .».
وقاطعها ببرود قائلا:
«انا انظر اليك كما قد ينظر اليك اي رجل آخر. ماذا كنت فاعلة لو توقف رجل غريب ورحب بدعوتك كما هو ظاهر للعيان؟»
وشدت على قبضتي يديها وهي ترتجف وأجابته متسائلة:
«دعوتي؟ بالتأكيد لا تعني اني خرجت الى هنا من اجل. . . كيف تجرؤ على ذلك؟»
واكتفى بان تأملها دون ان يجيبها.
وتمنت لو تركته ولكنها شعرت بضعف في ساقيها بحيث لم تساعداها على ذلك.

وقال وهو يحدق بها بثبات:
«هل خطر لك ان الرجال الأتراك يختلفون عن غيرهم من الرجال»؟
وهزت راسها بالنفي قائلة بصوت متهدج:
«لا، لا بالطبع لا».
«نساؤنا مستورات يا خانم ولذلك عندما يرى احدنا امرأة مكشوفة لا يمانع من ان يستحوذ على ما يرى».
واستندت الى جذع الشجرة الضخم متسائلة فيما لو عنى بكلامه الرجال الآخرين لم انه جمل نفسه بذلك ايضاً ونظرت اليه مرتجفة مضطربة ولكنها حاولت الدفاع عن نفسها بقولها:
«انت تتكلم وكأنني انسانة لا اخلاقية».
وانكر كمال بحزم هادىء قائلا:
«لم اقل شيئاً من هذا القبيل ولكن من المؤكد انك لم تريدي السير الى انتاليا بهذه الثياب يا خانم، اليس كذلك»؟
«ولم لا»؟
لم تستطع مقاومة تحديه بالرغم من انها لم تكن تريد حقاً السير الى انتاليا في تلك الثياب.
ولاحظت الغضب والعصبية في ملامح وجهه، وعاود التحديق فيها مجدداً ولكن ببطء ووقاحة واحست برعشة تسري في جسمها وانكمشت على نفسها اكثر.
وردد سؤالها بصوت دافىء عميق:
«لم لا؟ هل انت طفلة وبحاجة لتسالي مثل هذا السؤال يا

داليا؟».

واحست بالارتباك اكثر لاستعماله اسمها مجردا وهزت رأسها ببطء وكأنها في حلم.

وكان لصوته الرخيم العميق اكبر الاثر في اضطرابها، وحاولت السيطرة على نفسها مجيبة بقولها:

«انا . . . انا لست طفلة على الاطلاق، وبغض النظر عما خطر لك كمال بك فانا لم اكن احاول لفت الانظار اليّ، تشاجرت مع السيد كليفورد ايتكن وخرجت، وفي اي حال لا يهم ما ارتدي لاني لم اشاهد احداً».

وتأملها للحظات مبتسماً وأمسك ذراعيها بلطف ثم ابعد يديها عن صدرها ونظر الى قوامها النحيل وسألها بهدوء:

«لقد رأيتني انا، هل تظنيني اقل احساساً من اي رجل آخر؟ ويجب ان تتعلمي انه ليس من الحكمة عرض نفسك بهذه الحرية على الرجال، وربما ساعلمك هذا، ما رأيك»؟

وضمها اليه بقوة، فأغمضت عينيها للزوغان الذي احست به في رأسها. لا بد انها في حلم، ولكن وجوده الى جانبها ليس حلماً ويداه ليستا خيالا، من ثم اطلق سراحها وادار ظهره لها مستنداً الى جذع الشجرة وقال بهدوء:

«كان يجب الا يحدث هذا يا داليا خانم».

ونظرت اليه غير مصدقة عينيها بينما كان جسمها يرتعش من صدمة اللحظات القليلة الماضية واجابته بهمس:

«ارجوك لا تعتذر».

ونظر اليها وقال بهدوء:

«انت ضيفة في بيت جدي ومن اللااخلاقية بشيء ان استغل وجود سيدة في حمايته».

وحدقت فيه مستعيدة اللحظات القليلة الفائتة، وها هو هادىء يقرر ما هي اللااخلاقية.

ابتلعت ريقها بصعوبة قائلة:

«لا اخلاقية؟ اهذا كل شيء»؟

وقطّب كمال وكان من الواضح انه استغرب ردة فعلها الساذجة وغير المتوقعة، واستدارت داليا لانه بات من الصعب عليها مواجهته بعد ان احست بتأثيره عليها وحاولت استعادة سيطرتها على اعصابها.

واقترب منها بهدوء وقال:

«تعالي، ساعيدك الى البيت».

واستدار عائداً الى السيارة لكنها لم تلحق به كما توقع، ولما ادرك ذلك استدار ونظر اليها مستغرباً فاجابت على تساؤله بصوت ضعيف:

«سأمشي في طريق العودة، شكراً لك».

وتخيلت للحظة انه سيتركها واحست انها ستكرهه اذا فعل ذلك ولكنه عاد اليها وتسارعت ضربات قلبها وتمسكت بجذع الشجرة. وتأملها بضع لحظات وقال:

«ستعودين معي يا خانم، وقد اجبرتني على الاخلال بحسن الضيافة فلا تجبريني ان أفعل ذلك مرة ثانية».

ومد يده لها فترددت داليا للحظة ومن ثم اتجهت الى السيارة وساقاها ترتجفان وجلس الى جانبها في السيارة وتاملها قليلا قبل ان يهز رأسه ببطء وقال:

«ستشتكين لعمك على ما اعتقد عما صدر مني من تصرف وقح».

ولكنها هزت رأسها بالنفي. كليفورد هو الوحيد الذي سيضيق بالفكرة وهي بالتأكيد لا تنوي اخباره وقالت بصوت متهدج متحاشية النظر اليه:

«انا لا انوي ان اخبر احداً».

ضاقت عيناه وهو يحدّق بها وقال:

«أهذه هي رغبتك الساذجة بالحرية، هل تظنين انه لا يهم البروفسور كونك تعرضين نفسك للمخاطرة بتجولك بمفردك وبالتالي تعرضك لاشياء رغم ارادتك؟».

وأرادت داليا اغضابه لبرودته المفتعلة فرفعت رأسها بكبرياء قائلة:

«ولكن بناء على كلامك، ما كان ليحدث معي هذا لولا اني كنت اسير شبه عارية، وعمي آرثر لن يلومك وكيف له ان يفعل؟ وأما كليفورد فعلى اي حال يتصور انك تخطط لي فخاً ولن يستغرب ما حدث».

اجابها ببرود وامتعاض:

«انك تعالجين هذه الامور بقلة اهتمام يا خانم ولكن طمئني السيد اينكن على مستقبلك لانني وجدتك طفلة اكثر مما

توقعت».

وتأكدت من مدى تأجج غضبه من الطريقة التي قاد بها السيارة ولكنها احست بالرضى.

٤- نزهة في الغابة

اقتربت السيدة رينوار من داليا بينما جلستا الى المائدة وسألتها:

«هل تحلمين يا صغيرتي»؟

وضحكت عندما غمزت داليا بعينيها محاولة اعادة نفسها الى الواقع وقالت:

«أظن ذلك، أنا آسفة يا سيدة».

«ولم الأسف؟ يحق للصبايا ان يحلمن وخاصة فيما يتعلق بالحب، أليس كذلك يا عزيزتي»؟

ونظرت داليا الى كمال لا ارادياً ولم تدرك ذلك الآ عندما حدق فيها وقالت في محاولة للنكران:

«لا يا سيدة. لم اكن افكر بشيء معين. مجرّد احلام. ليس هناك ما افعله معهم في مركز العمل ولذا افكر بان اذهب بحثاً عن جداول الماء الباردة في الجبال».

واجابتها السيدة رينوار باستهجان:

«هل تعنين انك ستتمشين في هذا الحرّ يا عزيزتي؟ ستصابين بالاعياء».

فابتسمت داليا وهزّت رأسها، لانها عزمت على ذلك ولن تثنيها الآن السيدة رينوار عن عزمها وقالت:

«كنت انوي السير الى الغابة فهي قريبة جداً من الطريق ولن يكون الطقس حاراً بين الاشجار وفي اي حال سآخذ قبعتي».

وكانت نظرات السيدة رينوار ما زالت تعبر عن استهجانها ورمقت كمال وكأنها تسأله التدخل لاقناع داليا بعدم الذهاب ولكن كمال لم يشعر بوجوب تدخله. في حين ان كليفورد احس بما يجري ولم يرض عن الامر اطلاقاً وتوقف عن الطعام مقطباً وسألها:

«هل تنوين الذهاب الى مكان ما بعد الظهر؟»

واجابته:

«سأذهب للتجوال بمفردي، لمسافة قصيرة بين الاشجار، فما من سبب لقلقك يا كليفورد».

واقترب منها وقال بصوت منخفض ولكن حازم:

«سأكون معك، فلن تذهبي وحدك في الغابة، لا احد يعرف ما قد تصادفين في طريقك».

وقطبت بعصبية وقالت:

«يا الهي! كليفورد. لن اقابل اخطر من عنزة جبلية، فليس هناك من خطر قرب المدينة وانا على يقين. أنا لست بحاجة لقدومك معي، سأكون بخير وحدي».

«وما الذي يؤكد لك انك لن تقابلي اكثر من عنزة، فهناك ما هو اخطر في تلك التلال، وانا لا اريدك ان تذهبي بمفردك».

لم يتكلم بصوت مرتفع ولكنها انتبهت الى ان كمال كان يحدق بها مما اكد لها انه سمع حديثهما وانه ينوي التدخل. فحاولت ان تتجنب النظر اليه واحمرّ وجهها.

ونظر الى كليفورد نظرة خاطفة ثم تدخّل بهدوء قائلاً:

«اذا كنت تقصدين الذهاب الى الغابات يا خانم فمن الحكمة ان تذهبي بصحبة احد، وانا آسف لاني لا اتمكن من عرض خدماتي فانا على موعد مسبق ولكن من الافضل الا تذهبي وحدك، فالغابات هنا تختلف عن الغابات في انكلترا».

واجابه كليفورد باختصار:

«لن تذهب وحدها لاني سأذهب معها».

وتوقف البروفسور كرومبتون وسعدي سليم عن محادثتهما واهتما بالحديث الجاري، فلربما لفت انتباههما حدة صوت كليفورد وعصبيته.

لم يكن البروفسور ليرضى منح اية اجازة لكليفورد بعد ان اخذ يومين اصطحب فيهما داليا الى بيرج واسبيندوس لرؤية آثار المدينة والمسرح.

وعبس موجهاً كلامه لكليفورد وقال:
«ارجوك الا تتعجل في قطع الوعود يا بني».
وهز كليفورد كتفيه مستسلماً وهو يرى مخططاته تفشل، واحست داليا بالأسف لاجله.
واصرّ كليفورد قائلا:
«ولكن لا يمكن لداليا ان تذهب وحدها فنحن لا نعرف ما قد يصادفها في تلك الغابات».
وقال البروفسور موجهاً الحديث الى سعدي سليم:
«هل تعتقد بوجود اي مخاطرة في تلك الغابات في الجبال، اليست كغاباتنا البريئة يا صديقي»؟
وهز سعدي سليم رأسه وابتسم لداليا قائلا:
«لا يخلو الأمر من المخاطرة».
فاومأ عمها رأسه واعتبر الموضوع منتهياً وقال:
«اذن، اظن انه من الافضل ان تنسي الفكرة في الوقت الحالي الى ان استطيع التخلي عن خدمات كليفورد ليذهب معك».
وهزت كتفيها بخيبة امل. وعاد البروفسور لمناقشته السابقة مع سعدي سليم، بينما اقترب كليفورد منها وقال:
«ارجوك يا داليا لا تتصرفي بسخافة».
«لم اكن انوي التصرّف بسخافة وكل ما اردته هو السير لبضعة امتار».
واصرّ عليها قائلا:

«ولكنك لن تذهبي الآن».
ربتت السيدة رينوار على يدها مبتسمة وقالت:
«من الافضل ان تنتظري السيد ايتكن حتى يتمكن من الذهاب معك يا عزيزتي.
فليس من المستحسن ان تخاطري بمفردك».
وتنهدت داليا مجبرة وقالت:
«هكذا يبدو».
وتابعت داليا تناول وجبتها من الدجاج والأرزّ ولكنها لاحظت ان الجميع يراقبونها، وبعد انتهاء الطعام انصرف الرجال الى اعمالهم بينما لحقت بها السيدة رينوار الى الصالون وجلست على احدى الارائك المريحة في حين اختارت داليا احدى الوسائد المبعثرة على الارض للجلوس.
كانت تلك الغرفة هي المفضلة لديها.
ابتسمت لها السيدة رينوار وتلمست رأسها بلطف وقالت:
«هل تفكرين بعدم اطاعة عمك؟ انه يريد مصلحتك يا عزيزتي ويجب ان تصدقي ذلك».
وابتسمت داليا موافقة وقالت:
«آه، طبعاً. ولكن يصعب عليّ تقبّل الامر، فانا لم اعتد على تلقي الاوامر طيلة الوقت، ولا استسيغ ان يتخذ غيري القرارات لمصلحتي».
وابتسمت السيدة رينوار وقالت:
«وانت لا يعجبك ان يوجه الجميع عنايتهم اليك»؟

وهزت رأسها وتابعت:

«يجب ان تقدري يا صغيرتي كونك غالية، فليست كل صبية تتلقى مثل هذه العناية ممن حولها».

وبادلتها داليا الابتسامة وقالت:

«انا اعرف ذلك يا سيدة، وأقدّره ولكن...».

«ولكنك لا تحبين ان تحجز حريتك اليس كذلك؟».

وضحكت متابعة:

«هذا غير ممكن يا صغيرتي بالنسبة لفتاة جميلة مثلك».

ووافقت داليا مجبرة:

«انت على حق» وتأملت الحديقة من خلال النافذة وقد شبكت يديها حول ركبتيها وقالت:

«ليت فكرة التجوّل بين جداول المياه الباردة لم تجذبني».

ولم تنتبه داليا لدخول شخص ثالث الى الغرفة حتى تكلمت السيدة رينوار قائلة:

«آه، هل انت ذاهب، يا عزيزي كمال»؟

وفوجئت داليا بدخوله وبدا لها فارع الطول وهي تجلس على الارض، كان يرتدي بزة جميلة وأنيقة مع قميص حريري بني اللون وربطة عنق مناسبة وقال بهدوء:

«اذن، قررت ان تذعني للمحكمة بالنسبة لخروجك الى الغابة داليا خانم»؟

وتسارعت ضربات قلبها لاستعماله اسمها بشيء من رفع الكلفة.

كانت قد قررت في داخلها ان تذعن للرأي العام وتنتظر حتى يصطحبها كليفورد، ولكن تعليق كمال أثار تمرّدها مرة ثانية، وهزت كتفيها قائلة:

«قد اخرج لأتمشى».

وحدّق فيها بثبات مما أجبرها على ان تشيح بنظرها عنه وقال:

«حتى بعد ان منعك عمك من الذهاب»؟

وجادلته بقولها:

«لم يمنعني يا كمال بك، لقد نصحني».

وقام بحركة بيديه اظهرت انه لا فرق بين الاثنين وقال مصراً:

«وستعصيه»؟

فأجابته:

«انه ليس عصياناً لأحد. لست مجبرة ان آخذ رأي اي انسان في تحركاتي كمال بك، يمكنني الاهتمام بنفسي فانا لست طفلة».

وذكّرها بهدوء قائلاً:

«حاولت ان تخبريني بذلك مسبقاً، وكما تذكرين يا خانم لم تقنعيني».

لم يصعب عليها ان تفهم ما قصد واحمرّت وجنتاها، فها هو يذكّرها بقلة خبرتها وردة فعلها الساذجة.

كان واضحاً ان السيدة رينوار تراقبها ولم تفهم تماماً عما

وهزت رأسها وتابعت:

«يجب ان تقدري يا صغيرتي كونك غالية، فليست كل صبية تتلقى مثل هذه العناية ممن حولها».

وبادلتها داليا الابتسامة وقالت:

«انا اعرف ذلك يا سيدة، وأقدّره ولكن. . . ».

«ولكنك لا تحبين ان تحجز حريتك اليس كذلك؟».

وضحكت متابعة:

«هذا غير ممكن يا صغيرتي بالنسبة لفتاة جميلة مثلك».

ووافقت داليا مجبرة:

«انت على حق» وتأملت الحديقة من خلال النافذة وقد شبكت يديها حول ركبتيها وقالت:

«ليت فكرة التجوّل بين جداول المياه الباردة لم تجذبني».

ولم تنتبه داليا لدخول شخص ثالث الى الغرفة حتى تكلمت السيدة رينوار قائلة:

«آه، هل انت ذاهب، يا عزيزي كمال»؟

وفوجئت داليا بدخوله وبدا لها فارع الطول وهي تجلس على الارض، كان يرتدي بزة جميلة وأنيقة مع قميص حريري بني اللون وربطة عنق مناسبة وقال بهدوء:

«اذن، قررت ان تذعني للمحكمة بالنسبة لخروجك الى الغابة داليا خانم»؟

وتسارعت ضربات قلبها لاستعماله اسمها بشيء من رفع الكلفة.

كانت قد قررت في داخلها ان تذعن للرأي العام وتنتظر حتى يصطحبها كليفورد، ولكن تعليق كمال أثار تمرّدها مرة ثانية، وهزت كتفيها قائلة:

«قد اخرج لأتمشى».

وحدّق فيها بثبات مما أجبرها على ان تشيح بنظرها عنه وقال:

«حتى بعد ان منعك عمك من الذهاب»؟

وجادلته بقولها:

«لم يمنعني يا كمال بك، لقد نصحني».

وقام بحركة بيديه اظهرت انه لا فرق بين الاثنين وقال مصرّاً:

«وستعصيه»؟

فأجابته:

«انه ليس عصياناً لأحد. لست مجبرة ان آخذ رأي اي انسان في تحركاتي كمال بك، يمكنني الاهتمام بنفسي فأنا لست طفلة».

وذكّرها بهدوء قائلاً:

«حاولت ان تخبرني بذلك مسبقاً، وكما تذكرين يا خانم لم تقنعيني».

لم يصعب عليها ان تفهم ما قصد واحمرّت وجنتاها، فها هو يذكّرها بقلة خبرتها وردة فعلها الساذجة.

كان واضحاً ان السيدة رينوار تراقبها ولم تفهم تماماً عما

يتكلم كمال ولكنها ادركت ان هناك ما حدث بينهما ولم تعرف به.

وقالت داليا بهدوء محاولة السيطرة على اعصابها:

«كنت غاضباً. لم اعلم لماذا بالضبط وما زلت لا أجد جواباً لغضبك ذلك، ربما انت على حق فأنا صغيرة وعليّ ان افهم».

وحدّق بها للحظات بعينين مشعتين واستدار الى خالته منحنياً بأدب متجاهلاً كلام داليا كدليل على عدم رضاه وقال:

«الى اللقاء يا خالتي».

وخطا خطوات واسعة خارجاً من الغرفة واغلق الباب بحزم. ولما غاب وقع قدميه قالت السيدة رينوار محدقة بداليا منتظرة تفسيراً:

«يا الهي... ماذا حدث يا بنيّتي. لماذا تأثر كمال الى هذا الحد؟ اخبريني بالله عليك يا داليا».

وبدا التردد على داليا ولكن هذا لم يخفف من تصميم السيدة رينوار على معرفة السبب واعتدلت بجلستها منتظرة داليا لتروي لها ما حدث.

«انها زوبعة في فنجان، مشكلة من لا شيء».

وأجابتها السيدة رينوار:

«يبدو ان كمال مختلف معك في الرأي».

وهزت داليا رأسها قائلة:

«بدأ الموضوع عندما تشاجرت مع كليفورد منذ بضعة ايام وخرجت أتمشى وحدي، ربما كان ذلك سخافة مني ولكني

تمشيت بدلا من ان اعود الى البيت دون ان ادرك ما كنت افعل. وكنت واقفة على الهضبة عندما...».

«وعدت بالطبع مع كمال. آه، تذكرت متى حدث ذلك».

وتنهدت داليا متابعة:

«واعتبر كمال ثيابي غير لائقة، ويبدو انه اعتبر اني خرجت مرتدية بنطالاً قصيراً بقصد اغراء رجال البلد. وباعتقاده يجب ان اتعلم ماذا قد يحدث لي فيها لو كنت مصرّة على التجوّل في تركيا نصف عارية و...».

ووجدت صعوبة في ان تشرح للسيدة رينوار ماذا حدث تماماً.

«يخيّل اليّ ان كمال القى محاضرة عن الموضوع أليس كذلك»؟

واومأت داليا راسها بالايجاب:

«ولكن لم كل هذا الغضب يا عزيزتي»؟

ثم اجابت نفسها على سؤالها وقالت:

«لا، لا، انا أتوقّع السبب، انه خجل من نفسه لتصرّفه بقلة لباقة مع ضيفة في بيت جده اليس كذلك؟ وخاصة بدون موافقتك... يا الهي. انه غاضب من نفسه وليس منك يا عزيزتي».

واجابت داليا:

«ليس تماماً. لقد علّق بعض الشيء على اني لم اخبر عمي آرثر، وعن تقبلي للموضوع بسهولة ولامبالاة. وانا لم استطع الا

ان اجيبه بسخرية. واظن ان كمال بك يعتبرني مستهترة وصغيرة حتى على ان ادرك ذلك».

واجابتها السيدة رينوار بحزم:

«بلا سخافة ارجوك. كمال رجل فيه الكفاية، ويدرك انك لست طفلة، ولكن اعطيه الوقت».

وحملقت بها داليا وقالت بأنفاس متقطعة:

«ولكن ليس هناك من سبب يدفعك يا سيدة... اعني ما من داع لتظني...».

وقامت بحركة بيديها وتذكرت كلام كليفورد عن السبب الذي دفع السيدة رينوار لترتب النزهة مع كمال الى ايطاليا ونهضت بسرعة ورتبت ثيابها وقالت:

«اتمنى الا تأخذي انطباعاً خاطئاً يا سيدة، اذا كان كمال قد اعطاك فكرة عن...».

واكدت لها السيدة رينوار بهدوء قائلة:

«كمال لم يقل اي شيء يا عزيزتي. ولكن اذا كان هناك ما تودين قوله لي فانا مستمعة جيدة».

وأجابتها داليا بتسرّع:

«لا، ابداً لا يوجد شيء».

ووقفت بضع لحظات قرب السيدة رينوار التي كانت تراقبها، ومن ثم قالت:

«اظن أني سأخرج لأتمشى قليلاً».

«داليا كيف لك ان تفعلي ذلك».

ولكن داليا ارادت ان تذهب وحدها لتهدىء نفسها. وهزت راسها مطمئنة السيدة رينوار بقولها:

«ساكون بخير يا سيدة. لن اذهب بعيداً وساكون في الظل حالما اترك الطريق».

ونظرت الى ثوبها الاخضر القطني المحتشم الذي كانت ترتديه وقالت:

«لا اظن ان ثوبي يعتبر متحذلقاً ولا حتى برأي كمال».

واضافت قائلة:

«الى اللقاء يا سيدة».

سارت داليا لمسافة قصيرة على طريق مافيسو قبل ان تدخل بين الاشجار، كان الطقس لطيفاً، ولكن هناك الكثير من الصخور مما حتم عليها مراقبة كل خطوة.

كل شيء رائع الا انها تسمع اصواتاً غريبة بين الاشجار، حاولت ان تتناسى وجود اي خطر وتابعت مسيرها.

وتسلقت المرتفعات مما اشعرها بالنشاط، وصادفت بعض حدائق الورود والازهار في طريقها بين الاشجار. ومرت بالعديد من جداول المياه المنحدرة بين الصخور ولولا الحصى لخلعت حذاءها وسارت في احدى تلك السواقي، ولكن الحصى جعلها تعدل عن الفكرة، واكتفت بان جلست تعبث بقدميها في المياه الباردة بينا وضعت الحذاء في حضنها. وفجأة سمعت صوتاً غريباً فنظرت باتجاه الصوت ولم تر شيئاً، واقترب الصوت وتسارعت خفقات قلبها وحملقت في الاشجار المحيطة

ولكنها لم تر شيئاً من حيث جلست.

وسمعت الصوت مجدداً وكأن احدهم داس على احد الاغصان المرمية على الارض، وقفزت داليا واقفة وهي تنظر حولها محدقة. ربما انه احد الفلاحين يتمشى ولم يقصد اذيتها ولكن التحذيرات التي تلقتها جعلتها تشعر بالخوف والعصبية الى حد ما.

واذا بعنزة مقتربة توقفت للحظة تمضغ ما التقطته في فمها، محدقة بداليا مما جعلها تتنفس الصعداء وقالت:

«اهذا انت يا حمقاء».

وبعد ان غادرت العنزة المكان انتبهت داليا الى انها اوقعت حذاءها عندما وقفت، وتأملت قدميها العاريتين، بينما احد الحذاء يبتعد عنها في الجدول. وحاولت اللحاق به وركضت في الجدول وفجأة داست على احدى الصخور الحادة وجرحت قدمها بينما ابتعد الحذاء واصبح من الصعب التقاطه، وعضت على شفتها من الالم. وجلست على جانب الساقية تمسد قدمها ونظرت بأسف الى الحذاء الضائع.

ولم يكن امامها الا العودة حافية القدمين بجرح مؤلم. وبدأت رحلة العودة بحذر والم خاصة كلما داست على صخرة، وبرغم كل الحذر داست على احدى الصخور المغطاة بالاعشاب وصرخت من شدة الالم لالتواء قدمها.

لم تكن بعيدة عن الطريق ولكن التحرك صعب عليها، واخذت قدمها تنتفخ وازداد الالم ولم يكن معها ما تضمد به

قدمها، ولكن عليها ان تصل الى الطريق العام لان هناك يكمن املها بمرور احدهم فلربما ينقذها. وحاولت ان تقفز من شجرة الى اخرى. كانت تجربتها مؤلمة ومزعجة مما دفعها للبكاء ووصلت اخيراً الى صف الاشجار الذي يحدّ الطريق العام وجلست على العشب واستندت منهكة القوى بينما كانت قدمها تؤلمها بشكل لا يطاق، واحست بالكآبة، وجلست بانتظار الانقاذ، فليس هناك من حلّ آخر امامها.

لم تعرف كم من الوقت مضى على انتظارها عندما سمعت وقع حوافز احصنة ورفعت رأسها بشوق واذ بعربة يقودها احدهم والى جانبه امرأة وراقبتهما داليا وهما يقتربان.

بدا الرجل خشناً بشاربيه الكبيرين والزي الفلاحي الذي ارتداه، بينما ارتدت المرأة شيئاً وقد اسدلت بعضه على وجهها كخمار. وتوقفت العربة وترجلت المرأة مقتربة من داليا محيية اياها باللغة التركية.

وهزت داليا رأسها وقالت:

«انا آسفة فانا لا اتكلم التركية».

وبعد لحظة من الصمت اشارت اليها المرأة لتركب معهما العربة واومأ الرجل برأسه بالموافقة ونهضت داليا بمساعدة المرأة وتقدم الرجل لمساعدتها واومأ برأسه معتذراً قبل ان يضع ذراعه حول وسطها. كانت داليا في منتهى السعادة بمنقذيها حتى انها لم تسمع صوت السيارة القادمة الى ان اطلق السائق زموره مما فاجأها وفاجأ منقذيها فرفعت رأسها ودهشت ولم تدر هل تسرّ ام

تترعج عندما عرفت سيارة كمال سليم التي على ما يبدو تصل دائماً في المواقف المحرجة.

كان ما زال يرتدي بزته الجميلة الا انه حلّ ربطة عنقه. اوقف السيارة على بعد خطوات وجاء مسرعاً باتجاههم، فتركها منقذاها تجلس مرة ثانية على حافة الطريق.

بدا عليه الغضب مما اقلق داليا ودفعها لتحاول الوقوف على قدميها لتشعر بقدرة اكبر على مواجهته لكنها ادركت بانها ستعطي الرجل وزوجته فكرة خاطئة.

وقال لها كمال بلهجة آمرة:

«ابقي مكانك».

واطاعت امره على مضض، وجلست على العشب مرة ثانية فانحنى على ركبة واحدة قربها متفحصاً قدمها ثم نظر اليها نظرة خاطفة وسألها:

«أين حذاؤك»؟

ترددت داليا قبل ان تعترف بصوت مرتجف:

«ضاع مني. سقط في الماء».

ونظر باتجاه الغابة ثم عاود النظر اليها قائلاً:

«أكنت هناك»؟

أومأت داليا بدون ان تجيب فالقلق والالم والضيق الذي انتابها خلال رحلة عودتها اشعرها بالانهاك، بالاضافة الى انها لا تشعر بالارتياح لاستجوابه.

ورمق كمال منقذيها بنظرة سريعة وقال:

«هل كانا يساعدانك؟».

وأومأت مجيبة:

«نعم».

ونهض كمال الى الرجل وزوجته وتكلم معهما بشكل مطوّل بلغتهما وانهى حديثه على ما يبدو بشكرهما. فاشارا برأسيهما تحية وانصرفا.

راقبتهما داليا بأسف وهما يبتعدان. واذا بكمال ينظر بصمت، وللحظة خيّل اليها انه سيهملها ولكنه اخرج منديلا وبلله في احد الجداول وعاد اليها مرة ثانية قائلا:

«لا يمكنك الآن ان تتصرفي بالطريقة التي تعجبك، أليس كذلك»؟

وربط قدمها بقوة وتابع قائلا:

«أنظري ما حصل لك بسبب عنادك وعدم سماعك للنصيحة».

شعرت بتحسن في قدمها بعض الشيء بعدما ربطها لكنها لم تكن لتتركه يتهكم بهذه الطريقة فقالت بحزم:

«كان مجرد حظ سيء، ولا دخل لذلك بكوني وحدي».

وقال بهدوء:

«لو لم تكوني وحدك لما فقدت حذاءك».

واغرورقت عيناها بالدموع وقالت:

«كفاك أرجوك، لا أريد سماع المزيد من مواعظك. ليس بامكاني عمل اي شيء الآن، واذا كنت لا تريد....».

«داليا».

ولم تعرف تماماً كيف حملها، وانهمرت دموعها لتفرّج عن ضيقها المكبوت، وطأطأت راسها فتلمس شعرها بلطف. ولم يكن يهمها شيء في تلك اللحظة لأنه معها.

ورفعت رأسها ونظرت اليه اخيراً وحاولت ان تبعده عنها قليلا وقالت:

«انا... انا آسفة».

وحاولت عبثاً العثور على منديل، فسألها:

«هل تشعرين بتحسن؟».

واعطاها منديلا. فتنهدت واومأت برأسها وقالت:

«أنا بخير، شكراً لك».

ونظر الى قدمها وقال:

«اظن انه من المستحسن ان نرى طبيباً خشية الا يكون الامر مجرد التواء في الكاحل».

ونهض مصمماً، فقالت راجية:

«لا، ارجوك انا بخير، ولا أريد رؤية الطبيب».

ونظر اليها يتأملها للحظات وفي عينيه الاصرار وقال:

«لا تريدين»؟

ولكنه هز رأسه مبتسماً وقال:

«حسناً يا خانم، انا لا اجبرك على ان تتصرفي بتعقل ولذلك افضل حل ان آخذك لعمك ليعالج عنادك».

ورفعها بين يديه بسرعة مما دفعها لأن تحيط عنقه بذراعيها بلا

شعور.

ووضعها على مقعد السيارة الامامي وذهب الى مكانه، فقالت له:

«انا لست عنيدة».

رمقها بنظرة خاطفة بينما شغّل محرك السيارة قائلا:

«انت عنيدة وجميلة، ولذلك سأترك الامر لعمك ليتصرّف».

ونظرت اليه داليا بينما تسارعت ضربات قلبها بجنون المديح العابر الذي سمعته.

واستندت الى مقعدها ولم تكن على استعداد لمتابعة الجدل.

٥ - اقامة جبرية

على العكس من عمها اظهر كليفورد تأثراً كبيراً لما حصل، وربما كان لذلك علاقة بانقاذ كمال لها.

عندما عادت مع كمال كان كليفورد ما زال في مركز العمل ولم يعلم بالأمر حتى دخلت الى قاعة الطعام وانتبه الى الضماد والعرج في مشيتها برغم مساعدة السيدة رينوار. طلب كمال مساعدة خالته عندما اصرت داليا على رفضها اي طبيب، وعندها قامت السيدة رينوار بتضميد قدمها بشكل جيد وبدون اي تعليق لما حدث. وطلبت داليا الا يعلم عمها بالموضوع حتى يحين طعام العشاء لئلا تفسح المجال لكليفورد لاثارة ضجة كبيرة ووافقها كمال على ذلك.

ونزلت الى غرفة الطعام تساعدها السيدة رينوار وقطب كليفورد متسائلاً لدى رؤيتها وقال:

«ماذا حصل لك؟».

وابتسمت السيدة رينوار مجيبة عنها وقالت:

«التوت قدمها ولكني ربطتها لها بشكل جيد فلا داعي للقلق يا سيد ايتكن».

وأمسك كليفورد بذراعها واتجها الى المائدة وقالت:

«التوت قدمي، انها بسيطة بالرغم من العرج».

وسألها كليفورد:

«ولكن الا يجب ان ترى طبيباً. ربما انها اسوأ مما يبدو لك».

واصرت داليا قائلة:

«لا، ابداً».

وابتسمت السيدة رينوار قائلة:

«لقد فشلنا باقناعها. كان كمال مصراً على ان ترى طبيباً ولكنها لم تقبل».

وقطب اكثر لتدخل كمال في الموضوع وسألها:

«كيف عدت؟ من المؤكد انك لم تسيري، اين كنت؟»

«ذهبت الى الغابة».

«آه يا داليا... برغم انك وعدت بالا تذهبي».

فهزت رأسها بحزم وقالت:

«انا لم اعد بشيء، وحصل ما جعلني اغير قراري».

ونظرت الى السيدة رينوار وكأنها تحاول استشفاف ما تفكر به

تلك الاخيرة وتابعت قائلة:

«كانت جولة ممتعة ولكني فقدت حذائي في الماء وبعدها لويت قدمي».

فقال بلهجة مقتضبة:

«لماذا لا تقولي انها كانت سلسلة من الاحداث. وهل عدت سيراً بدون حذاء، وقدمك ملتوية»؟

فهزت رأسها بسرعة نافية:

«اذن، كيف عدت»؟

ومرة اخرى نظرت داليا الى السيدة رينوار وقالت:

«كنت محظوظة، فقد اعادني كمال بك، وشرح لي تماماً كما ستفعل انت وعمي كيف انني عنيدة».

انكر كليفورد بحزم:

«لا، اكره ان اكون قليل الشعور بهذه الطريقة».

وتابع قائلاً:

«وكيف وجدك»؟

وشرحت له داليا كيف شاهدت الرجل وزوجته ومن ثم ابتسمت متابعة:

«وربما لحسن حظي مر كمال بك في تلك اللحظة في سيارته ورآني».

واجابها كليفورد بمرارة:

«يبدو انه دائماً يحضر في اللحظة المناسبة عندما تكونين وحدك على طريق قروي، اود لو اعرف كيف يفعل ذلك».

من المحبب على قلب اي امرأة ان يكون هناك رجل ككليفورد يهتم بها ويغازلها ولكنه بدا لها محباً للامتلاك الى حد كبير، فكيف لها ان تخبره بذلك دون ان تجرح شعوره؟ صحيح ان كليفورد يعجبها ويعتبر صيداً ثميناً في نظر اي فتاة. واهتمامه بالآثار كان هواية اكثر منه مهنة، فهو على جانب وفير من الثراء. ولكن داليا لم تكن مستعدة بعد ان تعتبره الانسان الوحيد في حياتها... هذا اذا اصبحت قادرة على ذلك.

وقالت داليا بصوت منخفض لئلا تسمعها السيدة رينوار:

«ليس هناك من داع لتعكير نفسك بهذا الشكل بسبب كمال».

لم يكن هناك من مجال لكليفورد ليجيبها لانهما وصلا الى المائدة.

واصبحت داليا مركز الاهتمام، ففي حين ان سعدي سليم كان متعاطفاً، اخذ عمها ينتقد قلة صبرها وعدم سماعها لنصيحته، ولم تخف عليها نظرة الاقتناع في عيني كمال.

وقال عمها:

«لم يكن هناك من حاجة لأن تذهبي وحدك. ان عدم صبر هذا الجيل شيء لا يصدق. لا اعلم ما الذي دفع بك للذهاب في حين اني نصحتك بألا تفعلي».

ومرة اخرى عاودت النظر الى كمال ولاحظت الرضى في عينيه. واطرقت برأسها عندما اجاب كمال على تساؤل عمها قائلاً:

«ربما يجب ان اتحمل بعضاً من اللوم يا بروفسور، لانني تحديت داليا خانم ولم تستطع مقاومة التحدي وتصرفت بناء على ذلك».

ولم تستطع داليا ان تقرر فيما اذا كان يريد تخفيف اللوم عنها بكلامه ام انه اراد ان يظهر عنادها على انه السبب، واحست بالضيق بعض الشيء بينما كان الجميع يراقبونها.

وقطب كليفورد لتدخل كمال في الموضوع وسألها:

«هل هذا صحيح يا داليا؟»

وترددت داليا قليلاً قبل ان تجيبه معترفة بضيق:

«اظن ذلك».

وبدا الضيق والتعجب على كليفورد وقال:

«ولكن لماذا؟».

وهزت داليا كتفيها وقالت بعصبية:

«ربما لاني سخيفة، ونظرت الى كمال وتابعت:

«او لانني عنيدة كالحمارة كما اخبرني كمال بك».

ونظر سعدي سليم بغضب الى حفيده وضاقت عيناه، ولكن آداب الضيافة منعته من ان يستجوب كمال عما قصدته داليا من كلامها.

وبادر كمال بالتفسير قائلاً بهدوء:

«لم تحسن داليا خانم الاستشهاد بكلامي، واظن انها تعترف بذلك».

واحجمت داليا للحظات ثم ابتسمت وهزت رأسها

ضاحكة وقالت:
«أنا آسفة اذا اعطيت الانطباع الخاطىء يا سعدي بك. فقد اعرب كمال بك عن رأيه بادب اكثر. وفي اي حال فربما معه حق».
وتدخل عمها بحزم قائلاً:
«بالطبع عنده حق».
وابتسمت داليا ولاحظت ان كمال بدأ يتابع تناول طعامه.
تأخر كليفورد في الصباح التالي عن الالتحاق بالعمل ليبقى بعض الوقت مع داليا. كانت قدمها ما زالت تؤلمها. نصحتها السيدة رينوار ان ترتاح لمدة يومين على الاقل، ولكنها لم تحبذ فكرة الاقامة الجبرية في البيت وخاصة في حالتها النفسية القلقة.
وعرض كليفورد عليها قائلاً:
«يمكنني البقاء معك هذا الصباح».
ولكنها هزت رأسها. كان يجلس على احدى الوسائد الى جانبها، مرتدياً بنطالاً قصيراً وقميصاً قطنياً كأي شاب انكليزي عادي بينما كانت الغرفة تركية بكل ما فيها، وبدا كليفورد غير متناسب مع البيئة. وشعرت بشعور غريب تجاهه دفعها لأن تربت على ذراعه وقالت:
«اتمنى لو تبقى معي ولكنني متأكدة ان عمي آرثر سيأتي حالاً ليسأل عنك. وانا لا اريد ان ازيد انزعاجه مني».
وبدت عليه رغبة في الكلام وقال:
«لا اظن بأن كل اللوم يقع عليك فقد اعترف سليم

بأنه...».
«كان كمال يحاول تفسير خروجي. وانا خرجت بارادتي ولا يمكنني ان القي اللوم على احد».
ولم ينبس كليفورد للحظات بينما جلس متكئاً على ركبته، وبدا عليه القلق ثم قال:
«يبدو ان سليم يعرفك اكثر مني. لا، لا، ليس هذا ما اعني بالضبط، انه يتمتع بقابلية ليتوصل اليك».
وبدت الحيرة على وجهها وفوجئت بكلامه، ولكنه هز رأسه قائلاً:
«اعني انه يثير ردود الافعال فيك، بينما تعتبرينني كواحد من الارقام».
«لا، ابداً يا كليفورد، هذا غير صحيح».
وامسكت بذراعه لتطمئنه، وسألها:
«أليس كذلك»؟
فابتسمت وشدت على ذراعه وقالت:
«بالطبع لا، يجب ان تعرف ذلك».
وكانت ردة فعل كليفورد سريعة جداً بحيث اقترب منها وشعت عيناه بالدفء وعانقها. من الواضح انه فسر حركتها على انها تشجيع له. وحاولت ان تبتعد بدون فائدة وقال:
«داليا، انت تعرفين كيف اشعر نحوك، أليس كذلك؟ انا احبك منذ رأيتك في بيت البروفسور في الصيف الماضي».
«كليفورد».

وحاولت الابتعاد عنه قدر الامكان وتابعت:

«انا لم أعن ما صدر عنك من رد فعل، أرجوك يا كليفورد».

وتذكرت كمال وتأثيره القوي عليها، وفي تلك الأثناء فتح الباب وادركت داليا دون ان تستدير من القادم فحدقت بجهة الباب، واذا بكمال يقول:

«انا آسف».

رمقها بنظرة خاطفة ثم وجه اهتمامه الى كليفورد قائلاً:

«البروفسور كرومبتون يود حضورك الى مركز العمل يا سيد ايتكن. وفي اي حال اذا اردت ان تخبره بشيء. . .».

ثم عاود النظر الى داليا قبل ان يتابع قائلاً:

«ربما تريد ان اخبره بأنك مشغول؟».

واحمر وجه كليفورد وشعر بالاحراج ونهض واقفاً وقال:

«لا، ابداً، في الحقيقة كنت في طريقي لأذهب اليه».

وأومأ كمال برأسه واتجه الى النافذة ووقف وظهره لها.
وفوجىء كليفورد ببقائه في الغرفة ولم يدر كيف يتصرف ونظر الى داليا قائلاً بصوت منخفض:

«كنت اتمنى ان ابقى معك، صدقيني كنت اتمنى ذلك».

فابتسمت داليا مجيبة:

«صدقتك».

ولكنها كانت قلقة بسبب وصول كمال اكثر من مغادرة كليفورد. وتابع كليفورد قائلاً:

«عديني بالا تتصرفي بسخافة في غيابي».

ولم تعجبها طريقته في الكلام ومحاولته لاظهارها على انها ملكه.

وقف كمال ينظر من النافذة ولم يبد اي نية في الخروج. فهمس كليفورد قائلاً:

«سأراك في ما بعد».

وتأملته داليا متسائلة عن الاختلاف الشاسع بينه وبين كمال.

كليفورد متوسط القامة انكليزي قح وخاصة ببنطاله القصير الجينز، وكمال تركي اصيل ببزته الأنيقة وتصرفاته المدروسة.

شعرت داليا بالقلق عما قد يكون انطباعه لما رآه، ولكن لماذا تأبه لما يفكر. واستدار بسرعة وفجأة فأشاحت بنظرها عنه وسألها:

«كيف قدمك اليوم يا خانم»؟

وقطبت داليا لاستعماله لقباً رسمياً في مخاطبتها دون ذكر اسمها.

«انها تؤلمني ولكن السيدة رينوار اقترحت علي ان ارتاح ليومين».

«اذن هذا ما يجب ان تفعلي».

ودخل احد الخدم يعلن عن وصول سونيا كوزلو، كانت ردة فعل كمال بأن قطب بعض الشيء، فداليا فوجئت الى حد كبير غير مصدقة عينيها لقدوم سونيا بمفردها الى بيت رجل غريب، واحست بالضيق لوضع قدمها، فجاهدت واقفة وحدقت بها

يتبادلان التحية. وكان عليها ان تعترف لنفسها على الاقل بأنهما متناسبان فكلاهما يميلان للسمرة جذابان انيقان متحدران من ثقافة وعرق واحد ومن الواضح انهما يصلحان كزوجين.

واستدار كمال الى داليا وقال:

«قابلت الآنسة كرومبتون، اليس كذلك؟».

وأومأت سونيا كوزلو برأسها وسألتها بأدب:

«هل اصيبت قدمك بسوء»؟

واجابتها داليا بلامبالاة:

«انها التوت، هذا كل شيء انها بسيطة يا آنسة كوزلو».

ونظرت اليها سونيا بطريقة عدائية وقالت:

«اذن انت مجبرة على البقاء في البيت».

ورمقت كمال بنظرة سريعة ثم تابعت:

«لا بد ان ذلك مزعج لك يا خانم».

واحست داليا بغيرة سونيا لكونها قريبة من كمال.

وقال كمال بهدوء:

«ربما تمكنت من اقناع داليا خانم بأن ترتاح من اجل قدمها فهي لا تسمع نصيحتنا ولعلها تسمع منك لكونك طبيبة».

واجابت سونيا:

«انا لم اصبح طبيبة بعد ولكني بناء على خبرتي في الطب استطيع ان اقول لك بأنه تتوجب عليك الراحة لتشفى قدمك».

«انا مدركة لذلك بالطبع».

ورمقتها داليا وودت لو تركتهما وهربت من الغرفة ولكن ذلك لم يكن سهلاً في حالتها.

وقال لها كمال:

«الراحة تعني ان تجلسي».

«ليس الآن، واذا عذرتموني فيجب ان اترككما».

واتجهت الى الباب، الا ان كمال امسك بذراعها وقال بهدوء:

«ما من حاجة لأن تغادري الغرفة».

وحدقت به داليا محاولة تفسير دوافعه وخطر لها انه ربما يريد بقاءها لئلا يبقى بمفرده مع سونيا مما اثارها واقلقت منه ورمقت سونيا بنظرة سريعة وقالت بحزم:

«افضل ان اخرج كمال بك. اعذريني آنسة كوزلو».

وقفزت داليا على قدم واحدة الى الباب، بينما اومأت سونيا برأسها وبدا عليها السرور وعدم التصديق بأن داليا ستغادر الغرفة وستتركهما بمفردهما.

وتوقفت داليا بعد خروجها من الغرفة بضع لحظات لتستعيد توازنها. وبعدها خرجت الى الحديقة للتجول مما انهكها فجلست ترتاح على صخرة محاطة بالورود والازهار. ومضت عشر دقائق تقريباً على ذهاب سيارة سونيا لكنها لم تحاول العودة الى المنزل. لم تعرف لماذا اتت سونيا كوزلو الى مافيسو ولا يهمها ان تعرف ولكنها شعرت بحب الاستطلاع فبالرغم من ان رأي السيدة رينوار فيها بانها طبيبة ومتحررة ولا تنوي الزواج ولكن

من المحتمل جداً انها غيرت رأيها بعدما قابلت كمال في المطعم.

وربما جاءت الى مافيسو لتخبر كمال بما تشعر نحوه.

واستدارت بسرعة عندما سمعت كمال يقول:

«هكذا، اذن ترفضين سماع النصيحة مرة ثانية».

«لا يمكن ان يصيبني سوء في هذه الحديقة».

ورفع حاجبيه معبراً عن شكوكه بكلامها وقال:

«لن تقنعيني بأن جلوسك هنا جيد لقدمك الملتوية، يجب ان تمدديها على وسادة كما كنت تفعلين، ولم يكن من داع لمغادرتك الغرفة».

وهزت رأسها مجيبة:

«لا اظن اني استسيغ بقائي بينما كنتما تتحدثان.....».

وهزت كتفيها ومن ثم تابعت:

«صحيح اني قد القب بالعنيدة ولكن ليس من المعروف عني قلة اللياقة».

ولم يجبها للحظات. استند الى الصخرة التي جلست عليها بأحد قدميه وقال:

«وهل تعتبرينني عديم اللياقة لدخولي الغرفة بينما كنت مع السيد ايتكن. . .».

واحمر وجهها وقالت:

«لا تدعي يا كمال بك بأنك فوجئت بتصرف كليفورد بينما سبق لك أن تصرفت تصرفاً مشابهاً له».

«هه».

ولم تفهم داليا ماذا عنى بحركته تلك.

«وخطر لي ان هناك ما تود مناقشته مع الآنسة كوزلو دون وجود شخص ثالث. وحتى لو لم يكن هناك حديث خاص فأنا لا أود ان أقوم بدور المرافق».

وتوقعته ان يغضب ولكنه اجابها بهدوء:

«مهما كان تحليلك لسبب زيارة سونيا كوزلو، اؤكد لك انها اتت لتعيد لي قلمي الذي نسيته البارحة في بيتها».

«هذا لا يهمني».

واحست بالقلق لمعرفتها بزيارته في اليوم السابق لسونيا، ليته لم يخبرها. وقال لها:

«يبدو انك غاضبة يا خانم».

فرفعت رأسها بسرعة في محاولة للنكران ثم اطرقت رأسها مرة ثانية. فرفع ذقنها بحزم وقال:

«ولم انت غاضبة»؟

واحست بتسارع ضربات قلبها واجابت بصوت متهدج قائلة:

«انا . . . لست غاضبة».

«هل انت متأكدة. في اي حال لن استطيع السماح لك بالبقاء هنا وسأصطحبك الى الصالون».

واجابته قائلة:

«لا أريد ان أعود الى الصالون كمال بك. وأنا قادرة على ان

اتخذ القرار الذي يناسبني».

وتمتم باللغة التركية كأنه يكيل اللعنات وحملها بين ذراعيه بدون سابق انذار واحاطت عنقه بذراعيها بدون شعور. واخذها الى الصالون ووضعها بلطف على احدى الوسائد مع ان الغضب بدا واضحاً في عينيه وقال:

«اذا كنت راغبة في اثبات عنادك، فقد نجحت في ذلك. انا لا اصدق ان هناك حمقى يؤخرون شفاءهم ليثبتوا عنادهم».

كان كلامه مقنعاً ولكن يصعب الاعتراف بذلك وقالت:

«اتمنى لو انك لا تناديني بخانم».

وضاقت عيناه مجيباً:

«هذه هي الطريقة الصحيحة لمخاطبة السيدات».

«هذا عندما تكون عليه علاقة رسمية مع سيدات لا تعرفهن جيداً. بالاضافة الى انك لا تستعمل هذا اللقب دائماً معي، اليس كذلك؟».

وتأملها لبضع لحظات قبل ان يجلس قربها واخرج علبة سجائره ليأخذ واحدة وبدأ يدخنها وقال:

«ربما يجب ان اناديك بصغيرتي. فهذا يصلح لك اكثر ولو انه ليس مديحاً».

«هكذا، اذن».

واحمر وجهها وتمنت لو انها قادرة على ترك الغرفة لتخرج، وبدلاً عن ذلك رفعت رأسها بكبرياء وقالت:

«لا اعلم لماذا تحدثني طفلة لمجرد اني لا ارغب بتلقي

الاوامر».

وبرغم تضييق عينيه تابعت قائلة:

«ربما لأن النساء التركيات معتادات على ان يعاملن بهذه الطريقة وتظن اني يجب ان اكون مثلهن».

ولم تدرك مدى غضبه الا بعد ان قالت ما قالته واطفأ كمال سيجارته بعصبية ونهض بسرعة واتجه الى الباب دون ان ينظر اليها.

وتسارعت طرقات قلبها بينما راقبته وهو يغادر الغرفة فنادته بصوت منخفض ومتردد:

«انا اسفة».

ولما احست بتردده قالت باصرار:

«ارجوك كمال بك، انا اسفة».

واستدار ببطء وتوقعت ان يشتمها لكنه عاد اليها بخطوات واسعة، فالتقطت انفاسها متحسبة بينما جلس بجانبها وعانقها دون ان يعطيها فرصة لتقول او تفعل اي شيء. واحست فجأة بصوت غريب في الغرفة وادركت ان هناك من فتح الباب واغلقه بهدوء ونظرت اليه قائلة:

«هناك من فتح الباب».

«وهل يزعجك هذا؟».

ولم ينتظر تأكيدها او نكرانها بل اعتدل في جلسته وقال:

«بالطبع يزعجك. وانا اسف مرة ثانية لأنني... ولكن ماذا استطيع ان اقول؟».

وهزت راسها بالنفي عندما ادركت من يكون القادم. فلو كان سعدي سليم لافتعل فضيحة من الموضوع، ولو كان كليفورد من المؤكد انه لن يتصرف هكذا، والاحتمال المتبقي الوحيد هو ان تكون السيدة رينوار، ووجته قائلة:

«ارجوك لا تقل شيئاً. لأن اللوم يقع علي كما يقع عليك».

واستدار مبتسماً وقال:

«وهل يمكنني الا ان اوافقك»؟

وغمزت بعينيها غير قادرة على الاجابة وهمست قائلة:

«ربما انك على حق».

ونهض كمال واقفاً وامسك بيدها وقبلها قائلاً:

«ارجو الا تغريني مراراً يا صغيرتي، فانا لا استطيع مقاومتك».

وراقبته يخرج من الغرفة دون ان تتاح لها الفرصة لتناديه.

٦ - رومانطيقية

ذهب كليفورد في السيارة الى انتاليا ليجلب بعض الحاجيات للبروفسور وعندما عاد بعد الغداء، سألته داليا لماذا لم يصطحبها فاجابها:

«بالطبع كان بامكاني ان اصطحبك لكن لم يخطر ببالي، فقد كان البروفسور في عجلة من امره ولم افكر بأي شيء اخر».

وتمتمت داليا قائلة:

«ولا حتى انا»؟

وامسك بيدها وقال:

«انا آسف يا عزيزتي. بالطبع ما نسيتك ولكن البروفسور لم يعطني اي فرصة لافكر وانت اعلم بقلة صبره عندما يريد

شيئاً».
وابتسمت داليا وكانت مجبرة على الاعتراف بصحة كلامه وقالت:

«انا اعرفه، وهو ينعتني بقلة الصبر».

وطبع قبلة على جبينها وهمس قائلاً:

«سأخذك في نزهة مرة ثانية، اعدك بأني سأفعل ذلك حالما يعطيني البروفسر اجازة ولكن لا اعلم متى سيكون ذلك فالعمل يسير بشكل جيد هذه الأيام».

كان حماسه للعمل يضاهي حماس عمها ومن الواضح ان كل شيء اخر يأتي ثانوياً في حياته بعد عمله، ولكنها لم تكن قادرة ان تشاركه الدرجة نفسها من الحماس وقالت:

«ان ذلك مشوق، ليتني استطيع ان اكون هناك».

«ولكن بالطبع لا يمكنك القدوم الى مركز العمل يا عزيزتي، انا أتفهم ذلك فليس من المعقول ان تقفزي على قدم واحدة فوق تلك الارض الوعرة ولكن كنت اتمنى لو كنت معنا».

ونظر الى قدمها التي تحسنت ولكنها ما زالت مؤلمة بعض الشيء وقال:

«هل تشعرين بالم»؟

«افضل بكثير مما كانت عليه».

وقطب وهو يقول:

«ليتك توافقيني على ان نجلب طبيباً ليراها، فربما يعطيك ما يشفيها بسرعة وسأكون انا مطمئناً اكثر لو رآك الطبيب».

«لا تستحق ان تزعج بها طبيباً الآن ولو كان الطبيب يغير شيئاً في الموضوع لما ترددت في طلبه».

«مسكينة يا داليا».

وابتسمت قائلة:

«انها غلطتي، ولا يمكنني ان اشتكي ولكن اود ان اعرف ما يجري في العمل».

وبدا على كليفورد انه تذكر شيئاً وقال بلهجة ساخرة:

«رأيت سليم في انتاليا».

وحاولت داليا ان تسيطر على اعصابها وقالت:

«اظن ان لهم اعمالاً في انتاليا».

«لا اظن ذلك».

وشعت عيناه وقال:

«كان يتكلم مع امرأة في المرآب بجانب محطة الباصات. فتاة طويلة القامة جذابة ويبدو انها تركية».

وادركت داليا انه عنى سونيا كوزلو، واحست بالضيق ولكنها حاولت ان تتجنب اظهار مشاعرها وقالت:

«كانت هنا البارحة، اتت لرؤية كمال واظن انها سونيا كوزلو».

«احقاً ذلك؟».

ومن الواضح انه وضع مختلف التفسيرات لزيارتها وبدا عليه الاستغراب وقال:

«ظننت ان سليم تقليدي، ولا تعجبه مثل هذه التصرفات،

ولكن الفتاة بدت متحررة جداً وليست من النوع المحافظ.

وحاولت داليا ان تركز على ايجاد الجواب المناسب لكليفورد بدلاً من ان تفكر بالسبب الذي دفع بكمال للذهاب الى انتاليا لرؤية سونيا كوزلو وقالت:

«لم يعد هناك محافظات كما تظن، وهي تتدرب لتصبح طبيبة في العام المقبل».

«قابلتها اذن؟»

واومأت داليا برأسها وقالت:

«مرتين في الحقيقة، البارحة كانت المرة الثانية».

وحاولت الا تكون مجحفة بحكمها على سونيا وتابعت:

«انها لطيفة جداً».

وشرد كليفورد ومن ثم نظر الى داليا بعينين ضيقتين وقال:

«هل من الممكن ان يكون جدياً بشأن هذه الطبيبة؟».

«وكيف لي ان اعرف؟».

واستند كليفورد الى ركبته وقال:

«من المحتمل بالطبع ان تكون مجرد...»

وهز كتفيه وتابع قائلاً:

«يخيل الي ان الرجال امثال سليم ما زالوا يفكرون بالنساء على انهن يصلحن للمنزل فقط».

واجابته بسرعة:

«لا تكن متحاملاً. كيف لك ان تعرف ما يشعر به كمال او غيره».

وبدا عليه الغضب لدفاعها عنه واجابها باختصار:

«انا اسف».

وحدق بها بضيق وتابع:

«يبدو ان كمال سليم يسمح لنفسه بكل شيء فيما لو اعطي الفرصة».

لم تعرف ما تجيبه وخاصة بعد الاحداث في الأيام القليلة الماضية، فقد قابل سونيا ثلاث مرات حسب علمها، واظهر اعجابه بداليا. وهزت بكتفيها وقالت:

«لا يهمني ما قد يفعل كمال، ويسرني لو تغير الموضوع».

«بالطبع يا عزيزتي».

ونظر الى ساعته وقال:

«انا آسف فعلي ان اتركك الآن مجبراً. وسأحاول ان اقنع البروفسور بأن يمنحني نصف يوم اجازة على الاقل ولعله اعطاني يوم غد».

وشعرت داليا بالكآبة والحزن على نفسها وقالت:

«سيسرني ان نذهب في نزهة لأني ضقت بالجلوس».

«مسكينة يا داليا، سأعود بأسرع ما يمكن لرؤيتك».

ولم تمض عشر دقائق على مغادرة كليفورد حتى دخل كمال الى الصالون واحمر وجهها عندما ابتسم لها وبدا كأنه مدرك بأن كليفورد كان معها وكان عليه ان يتركها ليلتحق بعمله، واحست بالخجل لدخوله بعد ان كانت تناقش موضوعه مع كليفورد.

واخذ كمال سيجارة من العلبة، ومرة ثانية بدا في غاية الاناقة في بزته الرمادية وقميصه الابيض. وحدق فيها لبضع لحظات وابتسم قائلاً:

«هل تشعرين بالاسف والحزن على نفسك»؟

ورفعت رأسها بكبرياء وقالت:

«لا ابداً... كنت اتكلم مع كليفورد، لقد غادر منذ لحظات فقط».

«هه».

من الملاحظ ان كمال يستعمل هذا التعبير في كل المناسبات وخاصة ليعبر عن رضاه.

وتابع قائلاً:

«ولكنه لا يستطيع ان يقضي معك كل بعد الظهر كما كان يتمنى، أليس كذلك؟».

وهزت داليا رأسها قائلة:

«عليه ان يعمل، فهناك تقدم جيد في العمل ولذا فهو ليس قادراً على ان يطلب اجازة».

«وهكذا، اذن انت وحيدة هنا بينما تلقى آثارك كل العناية».

وسألته باستغراب:

«ماذا تعني؟».

وابتسم قائلاً:

«انت تعملين في الآثار ومن المؤكد انك تعلمين بالعلاقة بينك وبين ارتيميس، ام انك لا تعلمين بها»؟

وقطبت داليا بتعجب وبدأت تتذكر انه قيل لها في طفولتها عن علاقة لاسمها بمثل ذلك. ولكن عمها ووالدها كانا دائماً يهتمان بالجانب الانساني من علم الآثار اكثر من اهتمامهما بالخرافات.

«وانا لا ادعي انني عالمة في الآثار ولكن اظن ان اسمي له شيء من العلاقة، لا اعرف بالضبط ما هي».

وابتسم بتهكم قائلاً:

«وانا الذي ظننتك رومانطيقية، ولا تعرفين ما العلاقة بين اسمك وبين ارتيميس والهيكل الذي اكتشفتموه؟».

«رومانطيقية»؟

وتأملت يديها للحظة غير اكيدة من صحة كلامه وقالت:

«واظن انك على حق بعض الشيء، فعلى الأقل اجد الخرافات القديمة مشوقة بالرغم من انني لا اعرف الكثير عن ارتيميس».

ونفث دخان سيجارته وقال:

«وهل تودين ان اعطيك فكرة»؟

وجلس على احد الكراسي لما اومأت برأسها وقال:

«هل تعرفين ان الرموز اليونانية القديمة اخذت اسم ديانا عن الرومان»؟

«نعم اعرف ذلك».

وسرت بمعرفته اكثر مما توقعت عنه ونظرت اليه متسائلة:

«وهل تهتم بالآثار كمال بك؟».

«معرفة بسيطة. ففي هذه المنطقة من الصعب الا تتعرفين على بعض من علم الآثار داليا خانم».

«نعم، نعم بالطبع».

ونفث دخان سيجارته مرة ثانية وقال:

«لنعد لموضوع علاقتك بالرموز، من المعروف ان ديانا الرومانية ولدت في جزيرة ديلوس القريبة من هنا وهذا هو مصدر اسمك».

واومأت داليا ولكنها لم تكن قادرة على التركيز فقد احست بالقلق والاضطراب في حين انه بدا هو هادئاً.

وحدقت بيديها وقالت:

«اظن اني سمعت ذلك عندما كنت صغيرة ولكني نسيت الى ان ذكرتني انت بذلك».

«الم يذكرك السيد ايتكن بذلك؟».

ونظرت اليه متسائلة عن سبب ذكره المفاجىء لكليفورد وهزت رأسها بالنفي قائلة:

«لا، لكن ليس هناك من سبب حقيقي يدفعه لذلك».

وهز كتفيه بلا مبالاة وقال:

«لو كنت مكانه لوجدت من الشيق ان اقارن حبيبتي بالرموز ولكن لعله يفضل تمثاله الحجري، اليس كذلك؟».

واحمر وجهها وقالت:

«انا لست حبيبة كليفورد وليس لك الحق بأن تتعنى بذلك»

«هه. ولكن لا اظن انه يفضل التماثيل والآثار، اليس كذلك؟».

وشدت على قبضتي يديها بينما كان قلبها يخفق بشدة وقالت:

«لا اعلم ماذا يفضل».

ولم يقل اي شيء واطفأ سيجارته ووقف محدقاً بها وكأنه يكتشف فيها اشياء لأول مرة وقال:

«وانت لا يهمك؟».

كان بامكانها ان تنكر ولكنها لم تود ان تبرر نفسها امامه واكتفت بأن قالت:

«ليس بالضرورة».

وكان ما زال يحدق بها وقال بهدوء:

«يمكنك ان تكوني قاسية، واعتبر نفسي محظوظاً اني لست بدلاً عن كليفورد ايتكن».

وفوجئت بكلامه وحدقت به غير قادرة حتى على الدفاع عن نفسها. فقد كان حكمه عليها قاسياً وغير متوقع ولم تر مبرراً له ولم تقصد هي بالاصل جرح كليفورد وقالت:

«قاسية؟ كيف تقول ذلك؟ ما الذي دفعك لتقول ذلك عني»؟

وابتسم ابتسامة خفيفة بدون ان يتكلم وهز رأسه وقال:

«انت لا تعرفين هذا الرجل، اليس كذلك؟ انه لم يلمس قلبك».

كيف له ان يدعي التعاطف مع كليفورد في حين انه لم يبد

حتى الاعجاب به؟

وهزت رأسها ولعقت شفتيها الجافتين وقالت:

«انت لم تفهم الموضوع. . . كليفورد. . . .».

واستدارت بسرعة عندما فتح الباب ودخلت السيدة رينوار وقالت:

«لم اعلم انك هنا يا عزيزي كمال».

وخيل لداليا ان السيدة رينوار ستعتذر وتخرج ولكن كمال اومأ برأسه مبتسماً وقال:

«كنت مغادراً من بضع دقائق، ولكن ما زال عندي متسع من الوقت».

«اذن، اتيت لتسلي داليا بعض الشيء، وانا متأكدة انها تقدر لك ذلك».

وحدق فيها كمال بتحد وقال:

«لست متأكداً من ذلك. ولكن انا على يقين ان قدومك سيقابل بحرارة اكثر يا خالتي».

وابتسمت السيدة رينوار قائلة:

«انت تمزح، قولي له يا داليا انه مخطىء».

ولم تجب داليا وبقيت صامتة ونظرت اليه بتردد، وتذكرت ان احدهم دخل الصالون في اليوم السابق بينما كان يعانقها كمال، وباتت متأكدة انها كانت السيدة رينوار. ومن المؤكد ان السيدة رينوار فسرت وجوده معها بشكل خاطىء. ويجب ان توضح لها الأمر. وانحنى كمال بايماءة مؤدبة وقال:

«وسأترككما».

وصافح خالته، ونظر الى داليا مثمتماً بتحية. وراقبته وهو يغادر بخليط من المشاعر. وبدأت تشعر بالقلق فيما لو فتحت لها السيدة رينوار موضوع اليوم السابق وقالت:

«لا تشعري يا سيدة رينوار بوجوب بقائك معي، فانا لا اضيق بالوحدة، وفي الواقع بدأت قدمي تتحسن، وفكرت بأن امشي قليلاً في الحديقة».

«من الافضل ان تريحيها لمدة اطول. وانا يسعدني ان ابقى معك بعض الوقت، فنتبادل بعض الاسرار ما رأيك يا عزيزتي؟».

وتجاهلت داليا كلمتها الأخيرة وقالت:

«هذا لطف منك يا سيدة».

وابتسمت السيدة رينوار قائلة:

«انا على يقين انك كنت تفضلين صحبة كمال. وانا اقدر ذلك يا عزيزتي».

وهكذا واجهت داليا باصعب مناقشة ممكنة، ولم تعرف كيف تبدأ الحديث، وتسارعت ضربات قلبها وادركت انه من الصعب ان تحاول ان تشرح للسيدة رينوار موقفها. وشبكت يديها وقالت بتردد:

«اظن انه عندك الانطباع الخاطىء يا سيدة عن شيء ربما رأيته في الأمس».

وتنهدت السيدة رينوار بعمق وعبست معبرة عن اسفها

وقالت:

«اذن انت ادركت ان هناك من دخل الغرفة، لم أكن لاقطع مثل هذه اللحظات».

«ولكن لم تكن شيئاً يا سيدة».

ونظرت اليها السيدة رينوار بعينين غير مصدقتين وانتظرت تفسيراً وقالت:

«لا يمكنني ان اقول عن مثل هذه اللحظات انها لا شيء».

وبات محتماً على داليا ان تعطي تفسيراً او انها ستخلق انطباعاً خاطئاً اخر وقالت:

«أنا أعني انه لم يكن كما ظننت يا سيدة، لقد اغضبت كمال وخرج وتركني. كنا نتجادل وذكرت ما اثاره وناديته معبرة عن اسفي».

«وعندها عانقك».

واومأت داليا بالايجاب.

«اذن فقد سامحك لاغضابه، عاد اليك وعانقك بتلك الطريقة وتقولين لي لا شيء؟».

وربتت على كتف داليا وتابعت:

«لا عجب بأن يناديك بصغيرتي، حاولي ان تفهميه».

واجابتها داليا محاولة اقناعها:

«أنا أفهم ما تقصدين يا سيدة، ولكن هل نسيت سونيا كوزلو؟».

وقطبت السيدة رينوار وسألتها:

«سونيا كوزلو؟ وما دخلها في هذا الموضوع؟».

ولم تعرف داليا بما تجيب، ربما ان هذا عدم لباقة منها ان تذكر سونيا ولكنها فعلت الآن ويجب ان تفسر للسيدة رينوار وقالت:

«اظن ان كمال بك يعتبرها صديقة، اليس كذلك؟ اعني ان هناك من رآهما معاً البارحة وكانت هنا من بضعة ايام، وكمال زارها في بيتها، ظننت...».

وامسكت السيدة رينوار بكلتا يديها بلطف وقالت:

«كمال يعرف سونيا من زمن بعيد ووالدها شريك لسعدي سليم في العمل، وسونيا امرأة متفرغة لعملها، والنساء المتفرغات لا يتزوجن امثال كمال. مثل هؤلاء الرجال لا يتكيفون مع نساء يردن ارتداء الملابس غير المحتشمة».

واومأت داليا برأسها.

ولم يكن هناك اي فائدة في ان تسأل ماذا يحدث لو استمرت لقاءاتها فليس من المستغرب ان تقتنع بالزواج من كمال سليم وتفضله على العمل والمهنة.

٧ - نزهة في الجبال

شعرت داليا بارتياح عظيم لأنها اصبحت قادرة على التنقل والسير مرة ثانية مع ان قدمها ما زالت تؤلمها. وبات من الممكن لها ان تساعدهم في العمل، وفوجئت بمدى التقدم الذي احرزوه في غيابها، وجلست تتأملهم بينما كانوا منهمكين في العمل وشعرت بتفهم لحماس كليفورد بعد ان اصبحت معالم الهيكل كلها واضحة. وتذكرت داليا كيف نعتها كمال بأنها قاسية وغير مبالية بمشاعر كليفورد، واخذت توازن بين تعلقه بهوايته وميله نحوها، وبدا لها انه يفضل هوايته عليها ولن يهتم بها او بقسوتها.

اما كمال فبدا لها مشكلة من نوع اخر، تمنت لو انها قادرة

على تفهم هذا الرجل المختبىء وراء جدار الادب والهدوء والاتزان. مرت بلحظات احست خلالها بعمق مشاعره ولكنها ليست اكيدة من ماهية هذا الرجل.

من المؤكد انه لو احب لتطلب اهتماماً كلياً ولن يقبل بغير ذلك، سيعطي الكثير بالمقابل ولكنه لن يقنع بالقليل. فهل سيخطر يا ترى لسونيا كوزلو ان تقدم على مثل هذا. وحاولت ابعاد سونيا عن تفكيرها.

وعادت تتأمل كليفورد متسائلة – ماذا لو طلب منها الزواج، ماذا سيكون جوابها. من الطبيعي ان يوافق عمها ويعتبره خطيباً مقبولاً وكذلك والدها لانهما احبا كليفورد ولكن المشكلة تكمن في نفسها، يجب ان تعترف انها لا تحبه وتحب كمال سليم.

وجلست والحزن باد على وجهها بعد ان واجهت نفسها بالحقيقة، واحست بالضياع. وفجأة ظهر كمال من بين شجرات الماغنوليا ووقف محدقاً بها. كان يرتدي بنطالاً كحلياً وقميصاً أسمر بدون سترة مما زاد في جاذبيته الى حد كبير.

وبينما لم يشعر عمها بوجود كمال، توقف كليفورد عن العمل واخذ يتأمله وهو يتقدم من داليا وسألها:

«هل استوقفتك عن عملك؟».

وهزت رأسها بالنفي قائلة:

«لا، لا ابداً».

واحست بالارتباك خاصة انها لم تجتمع به على انفراد منذ محادثتها الاخيرة مع السيدة رينوار وقالت:

«هل اردت رؤية عمي»؟

وعرفت ان جوابه النفي حتى قبل ان يجيبها قائلاً:

«اريد رؤيتك يا صغيرتي».

وقطبت قائلة:

«بكل تأكيد ولكن ارجو الا تناديني بذلك الاسم كمال بك».

وكرر الاسم مبتسماً:

«صغيرتي الا تحبينه»؟

«انه ليس مجرد تصغير ولكنه ليس صحيحاً».

وحدق بها بصمت ومن ثم قال:

«هل تنوين الشجار معي مرة ثانية؟».

وحدقت به وقد فوجئت بأنها حقاً كانت على وشك الشجار معه على امر سخيف وقالت:

«لا، لا طبعاً لا انوي ذلك. انا اسفة ولكني لا احب ان تناديني بصغيرتي».

«اذن، هل تفضلين ان اناديك بداليا خانم؟».

وحدقت به بثبات قبل ان تقول:

«ولماذا لا تناديني مجرد داليا»؟

وهز راسه مبتسماً وقال:

«لأنه من المستحيل ان تكوني مجرد اي شيء ولكن اذا كنت تفضلين ذلك فسأناديك بداليا».

ونهضت واقفة وسارت بضع خطوات ثم قالت:

«ذكرت انك قدمت لرؤيتي. ماذا اردت مني كمال بك»؟

«اولاً اظن بأنه يجب ان تناديني... كمال».

فابتسمت قائلة:

«ماذا اردت مني يا كمال؟».

ونفث دخان سيجارته قائلاً:

«خالتي تنوي القيام بزيارة احدى صديقاتها في انتاليا بعد ظهر اليوم وسأوصلها انا بالسيارة وبعدها سأكون حراً لبضع ساعات وكنت انوي ان اذهب الى الجبال حيث الطقس الطف، فهل تودين القدوم معي وهذا سيكون من دواعي سروري».

كانت الدعوة رسمية بعد محادثتهما، ولكنها فوجئت بها فحدقت به للحظات غير قادرة على الجواب وقالت:

«اذهب معك؟».

«ذهبت مع صديقك في السيارة وحدكما الم تفعلي ذلك؟».

ونظر الى كليفورد وتابع قائلاً:

«أليس امراً طبيعياً في مجتمعكم ان تخرج المرأة مع الرجل في نزهة كهذه؟».

وحاولت ان تستشف من نظراته ما هو قصده من وراء دعوته وقالت:

«نعم طبعاً، ولكني كنت افكر بعاداتكم».

واجابها ببرود:

«لن نتوقف في اي مكان من المحتمل ان يرانا فيه أحد».

«آه، فهمت».

وتذكرت داليا موعده مع سونيا كوزلو فهو لم يكن حريصاً بهذا الشكل، فكليفورد كان واحداً من مئات الناس الذين رأوهما معاً، ولكن ان يشاهد مع فتاة اجنبية فربما يزعجه اكثر.

كان كمال يراقبها وقد بدا عليه الامتعاض وسألها:

«هل هناك ما يزعجك؟».

«ابداً، ولكنك لست دائماً حريصاً بألا تشاهد مع امرأة، اليس كذلك؟».

ولاحظت انه شد على سيجارته وقال:

«لا افهم ماذا تعنين بكلامك؟».

«شاهدك أحدهم تتكلم مع الآنسة كوزلو في مكان عام».

ونظر الى كليفورد وقال:

«انه السيد ايتكن، اليس كذلك؟».

وهزت داليا رأسها وقالت:

«لا يهم، هذا لا يهم».

واقترب منها اكثر وأمسك بوجهها قائلاً بلطف:

«يبدو ان الامر يهمك».

وانزعجت من ضعفها عندما ارتجفت وهي تجيبه:

«لا، طبعاً لا، لا يهمني».

«هل ستأتين معي؟».

ولم يطل ترددها قبل ان تجيب:

«سآتي معك».

وذكرت السيدة رينوار الموضوع اثناء طعام الغداء وقالت ان كمال سيوصلها الى انتاليا ومن ثم سيأخذ داليا في جولة حول المدينة. وكان على داليا ان تتحمل نظرات كليفورد اللائمة اثناء تناول طعام الغداء.

ولما انهت طعامها لحق بها كليفورد وأمسك بذراعها ولم تسنح له الفرصة للكلام اذ لحق بهما سعدي سليم واعتذر لمقاطعتهما، وكان الامتعاض بادياً على وجهه وخاصة بوجود كليفورد من ثم قال:

«هل انت مقتنعة بالذهاب في هذه الجولة مع حفيدي يا داليا خانم»؟

واحست انه سيحاول اقناعها بعدم الذهاب مع حفيده من اجل سمعتها ولأن ذلك يخالف مبادئه، وحاولت ان تجد الكلمات المناسبة لتظهر رغبتها بلباقة وقالت:

«نعم انا مقتنعة سعدي بك، ارجو الا يكون في ذلك اي ازعاج لك».

وحدق سعدي سليم بكليفورد محاولاً ان يفهمه بأن وجوده غير مرغوب به، وما كان على كليفورد الا ان يلبي ذلك وخاصة ان عمها كان بانتظاره بقرب الباب وقال:

«سأراك فيما بعد يا داليا، ارجو ان تكوني حذرة».

وطبع قبلة على جبينها قبل ان يغادر.

واحمر وجه داليا لتصرف كليفورد امام مضيفها، لأنه اراد ان يظهر امام سعدي سليم ان علاقته بداليا اعمق مما هي ولهذا

يعارض خروجها مع كمال. ولم تود ان تعطي سعدي سليم الانطباع الخاطىء، ولكن مضيفها لم يبد اي تأثر بما رأى وسألها:

«هل تسمحين لي ببضع دقائق من وقتك يا داليا خانم، بينما يأتي حفيدي والسيدة لتذهبي معهما؟»جلست على احد كراسي الصالون الذي دخلاه وقالت:

«طبعاً يمكننا ان نتكلم».

وجلس هو على كرسي مقابل ولم يبد عليه الامتعاض او الغضب فقالت له:

«هل عندك مانع ان اذهب في هذه النزهة؟».

واجابها قائلاً:

«علمتني الحياة اننا يجب ان نتأقلم مع تغير الزمن السريع، والسكوت ليس معناه دائماً الرضى ولكنه احياناً خضوع للتغيرات التي لا يمكن للمرء ان يقف في وجهها، واود ان انبهك الى التغيرات التي قد تخطر لسكان هذا البلد».

وحاولت داليا ايجاد الكلمات الملائمة لتريه تقديرها لكلامه دون ان تعطيه انطباعاً بأنها ستغير ما عزمت عليه وقالت بهدوء:

«انا افهم قصدك سعدي بك وشكراً لاهتمامك بي».

«انت ابنة اخ صديق قديم لي وضيفة في بيتي ومن الطبيعي ان اهتم بك».

ربما لو انها اصرت لاعتبرها جريئة او مهملة ولذا عليها ان تحاول افهامه وقالت:

«الأمور مختلفة جداً في انكلترا فما من غبار على خروجي في

نزهة في السيارة مع صديق».

كان يستمع لها بأدب ولكنها كانت تتساءل ان كان سيمنعها من الخروج مع كمال وقال مذكراً:

«حفيدي كمال تركي وغير متزوج ويتأثر بالجمال النسائي، ستكون اهانة لعائلتي اذا وضعك في موقف محرج».

اذن فهو ليس مهتماً بالتقاليد بقدر اهتمامه بتعرضها لموقف محرج. قالت:

«سأكون في امان يا سعدي بك».

وابتسم معتذراً:

«اعذريني يا داليا خانم. ولكنك ما زلت صبية صغيرة وكان يجب ان انبهك الى ما انت مقدمة عليه وخاصة اني اعرف حفيدي. ربما ان عمك لا يدرك خطر ذلك ولكني اعتبر نفسي مسؤولاً».

ابتسمت وهزت رأسها قائلة:

«من مميزات الحياة في مجتمعنا اننا نتعلم التصرف بكل انواع الظروف بشكل طبيعي، وكل ما سأفعله اني ذاهبة في نزهة في السيارة مع صديق لي».

«صديق؟».

وبدا عليه الاستغراب لاستعمالها كلمة صديق، فبالنسبة الى رجل كسعدي سليم ليس هناك من صداقة بريئة بين رجل وامرأة. وتابعت قائلة:

«أتمنى ان نبقى اصدقاء كما اننا انت وأنا اصدقاء سعدي

سليم بك».

كرم اخلاقه منعه من ان يكذبها واكتفى بأن قال:

«هذا يشرفني يا خانم».

ودخلت السيدة رينوار وهي تتكلم بسرعة وصوت عال مع كمال وبدا انه بات من الصعب تغيير الوضع.

اصرت السيدة رينوار على الجلوس في المقعد الخلفي وتركت المقعد الأمامي لداليا ولم تكف عن الكلام طوال الطريق الى اناتاليا، فقد شرحت لداليا علاقتها بصديقتها التي تنوي زيارتها واكدت لها انها ستشعر بالملل لو ذهبت معها. وبعد ان نزلت السيدة رينوار من السيارة استدار اليها كمال مبتسماً وشعرت بمدى حبه لخالته، ثم انطلقا بالسيارة، لم تعرف الى اين ولكن كل ما كان يهمها انها مع كمال. واتخذ الطريق الريفي بين الاشجار والنباتات. ومرا بعدد من القرى على جانبي الطريق، وكم كان عليهما الانتظار احياناً ليسمحا لقطيع من الغنم المرور او لقطيع من الماعز.

وقطعا مسافة طويلة في الريف دون ان يتحدثا كثيراً واكتفى كمال بأن شرح لها عن بعض المناطق لدى مرورهما بها. وفجأة انتبهت الى تغير الطقس حين أصبحا في الجبال، وامتدت امامها الوديان والمراعي المزدانة بجداول الماء المنحدرة. وانتشرت الخيم في المراعي، وكانت داليا تحدق غير مصدقة ما تراه، عندما اوقف كمال السيارة ليتمكنا من مراقبة المنظر العام ولكن بحيث لا يشاهدهما احد.

واستدارت داليا اليه وسألته:

«ما هذا؟ اين نحن؟».

«انها يايلا وهي المركز الصيفي لهؤلاء الناس انهم غجر ملقبون باليوركس وهذا مقرهم الصيفي، تجمعوا رجالاً ونساء واطفالاً مع كل ما يملكون في هذا العالم بما في ذلك حيواناتهم. معظم هؤلاء الناس الآن استقروا في بيوت دائمة ولكن بعضهم ما زال يعود كل عام الى خيمته فهذه هي عادتهم».

«انهم رائعون. يبدو لي وكأنهم يشبهون ما نسميهم بالرومانيز في بلدي ولكن هؤلاء يبدون اكثر سعادة».

«لأن حياتهم جميلة، على الرغم من صعوبتها في بعض الأحيان، ولكن كل ما يطلبون من حياتهم ان يعيشوا كما يريدون. ماذا يطلب الرجل في هذه الحياة اكثر من امرأة طيبة وصحة جيدة واولاد وارض يعمل بها»؟

واحست داليا بمراقبته لها بينما كان يتكلم، وشعرت بنبض قوي في صدغيها لكنها لم تستدر وانما اخذت تراقب النساء يجمعن الحطب ويحملن الماء واوعية الطعام. من الطبيعي ان ينظر كمال للأمر من وجهة نظره كرجل، ولكن في الحقيقة ان حياتهن صعبة وقالت:

«يبدو الوضع مثالياً من وجهة نظر الرجل ولكني لا اظن اني استطيع ان اكون واحدة من هؤلاء النسوة».

وانفجر ضاحكاً، واستدارت بسرعة وفي عينيها نظرات لوم وقال لها:

«هل تشعرين بأن النساء ضحايا؟».

وهز رأسه دون ان يعطيها فرصة للاجابة وتابع قائلاً:

«الم تقولي بنفسك انهن يبدون سعيدات؟».

كان عليها ان تعترف، ولكنها ما زالت غير مقتنعة بكلامه فقد بدا لها ان كل الحياة للرجل بين اليوركس اكثر مما هي عليه حتى في بقية المجتمع التركي وقالت:

«ربما، ولكن هل هن حقاً سعيدات كما يبدو للعيان؟ هل لهن الحق في اختيار من يتزوجن مثلاً؟».

وضحك مرة ثانية قائلاً:

«وهل يختلف الرجال والنساء اذا عاشوا في مجتمع محافظ؟ بل على العكس مما يخطر لك فالعواطف والمشاعر تثار اكثر في مثل هذا الجو وخاصة ان الشبان والشابات غير مراقبين هنا في يايلا، والحب معروف جداً هنا».

وحدقت به غير مصدقة، هل يختلق القصة ليقنعها بأن الجو رومانطيقي وتابع قائلاً:

«قد يهرب الشاب مع الفتاة التي يختارها لو عارضوا زواجهما، وهذا شيء مألوف هنا وخاصة اذا كان المعارض عائلة الفتاة. طبعاً جنحة كبيرة لو اختطفت الفتاة بدون موافقتها ولكن. . . ماذا تريدين اكثر من مثل هذه المقدمة الرومانطيقية للزواج، بأن تخطف الفتاة من قبل الرجل الذي يحبها؟».

واحست بالاضطراب لحديثهما عن العواطف واختطاف

الحبيب في مثل هذا الجو الرائع وخاصة بالقرب من كمال واستدارت اليه بسرعة وقالت:

«اظن، انه لا بد من حدوث الاختطاف في المجتمعات المحافظة».

وداعب عنقها باصبعه وقال:

«الا يحصل اي اختطاف في انكلترا؟ ام انه لا يوجد اباء يعارضون اختيار بناتهم للزوج المناسب؟».

«بالطبع هناك اباء لا يوافقون على اختيار بناتهم ولكنهم لا يفعلون شيئاً عادة، لان حكم او اختيار الفتاة يعتمد عليه عادة تماماً كاختيار الرجل، لذلك تندر حوادث الاختطاف».

وابتسم قائلاً:

«وهل تقرين عمليات الاختطاف يا صغيرتي؟».

«كمال...».

«وانت لا توافقين على مناداتك بصغيرتي».

وضحك بصوت عال، واقترب منها محاولاً عناقها فابتعدت بسرعة. فأمسك بذقنها وادار وجهها اليه قائلاً:

«لقد سبق لي ان عانقتك ولم تعارضيني فماذا اختلف في الأمر؟».

وأحست بالاهانة لكلماته لكنها لم تجبه ولا حتى دفاعاً عن نفسها كل ما ارادت الا تنجرف مع عواطفها، فقد نبهها من ذلك سعدي سليم، واكد لها كليفورد ان كمال ما زال يجتمع بسونيا كوزلو وقالت:

«ارجوك ابتعد عني».

«ليس قبل ان تقولي لي ماذا فعلت لأستحق مثل هذه المعاملة، هل استمعت لنصائح كليفورد ايتكن»؟

واحست فجأة بمدى كراهيتها لسونيا كوزلو، ربما لأن سونيا قادرة على الاقتراب منه ما دامت تفهمه اكثر لأنها تفهم عقلية الرجل التركي اكثر.

لقد ذكر لها كليفورد ان كمال يشعر بحقه باكثر من امرأة في آن واحد وربما ان سونيا كوزلو قادرة على تقبل ذلك، ولكنها هي غير قادرة على ان تشترك بحبه مع انسانة ثانية.

ولم تدرك ان عينيها امتلأتا بالدموع الى ان انهمرت على وجنتيها، عندما طبع كمال قبلة على جبينها ثم عانقها قائلاً:

««يا صغيرتي داليا، هل كنت قاسياً معك؟».

ولم تجبه وبقيت صامتة.

وهمس قائلاً:

«يجب ان اكون لطيفاً معك فأنت حساسة جداً، أليس كذلك؟».

وهزت رأسها بالنفي.

لم تتذكر داليا الكثير من رحلة العودة الى انتاليا فكل ما كانت تفكر به كمال ولطفه معها. وبقيا صامتين طوال الطريق ولكنها كانت تشعر بالسعادة، لم يتغير الكثير ولكن التفكير بسونيا كوزلو لم يعد مزعجاً واحست بالثقة اكثر. حقاً انه لم يعبر لها عن مشاعره بالكلام ولكن تصرفه اللطيف معها لا يمكن الا ان يعني

انه يكن لها بعض المشاعر.

وعلى ما يبدو ان السيدة رينوار لاحظت بعض التغير في تصرفاتهما تجاه بعضهما، ولكنها لم تعلق وانما بدت عليها السعادة وهي تنقل نظرها بينهما.

وسردت لها السيدة رينوار عن زيارتها لصديقتها بالتفصيل، واستدار كمال الى داليا مبتسماً، وسألتها السيدة رينوار:

«كيف كانت نزهتكما يا ابنتي؟».

واجابتها داليا بدون تردد:

«كانت رائعة، فالريف من اجمل ما رأيت في حياتي، والجو لطيف جداً في الهضاب والهدوء والسكينة يبعثان في النفس الطمأنينة. وقد اراني كمال اين يقيم الفلاحون في الصيف. لا اذكر ماذا سماهم لي».

ونظرت الى كمال ضاحكة لنسيانها الاسماء.

واجابها قائلاً:

«يايلا يا صغيرتي».

وضحكت لاستعماله اسم التصغير لها في حين انها كانت تضيق به مسبقاً.

وتساءلت السيدة رينوار قائلة:

«هل زرتما اليوركس؟ ماذا سيقول عمك يا عزيزتي اذا علم بزيارتك لهؤلاء الناس؟».

«لا اعلم».

وضحكت داليا وتابعت:

«ولكننا لم نغادر السيارة، بل بقينا فيها تحت الاشجار وراقبناهم لفترة قصيرة.

«هه، فهمت».

ولما وصلوا قام كمال بمساعدة خالته على النزول من السيارة وتركتهما السيدة رينوار بسرعة ودخلت الى البيت مسرعة تاركة كمال ليساعد داليا على مهله.

واحست داليا انه انسحاب لبق منها، فاحمرت وجنتاها وخاصة عندما امسك كمال بيدها مساعداً اياها على الخروج من السيارة، فسرت في جسمها رعدة واحست بضعف في ساقيها وطبع قبلة على جبينها.

وحدقت به غير آبهة بأن يقرأ مشاعرها في عينيها وهمست قائلة:

«شكراً لك على هذه النزهة الرائعة».

وابتسم قائلاً برقة:

«شكراً لك يا صغيرتي».

وعاد الى السيارة ليأخذها الى المرآب، بينما اتجهت هي الى البيت وبمجرد استدارتها رأت كليفورد قادماً باتجاهها بعصبية واحتارت فيما اذا كان من الافضل ان تنتظره ام تتركه وتدخل البيت، فقد تضجر من سماع شكواه. ولما كانت في غاية السعادة ولا تريد ان تعكر صفوها بسماع شكواه في هذه اللحظة، اسرعت في الدخول الى المنزل ثم الى غرفتها. من المؤكد ان كليفورد رأى كمال وهو يطبع قبلة على جبينها ومن

المحتم انه احس بسرورها بصحبته وهي لا تريد ان تفسد على نفسها جمال النزهة وتستمع الى احتجاجات كليفورد.

٨ - سوء تفاهم

وفي صباح اليوم التالي بعد طعام الافطار طلب منها البروفسور كرومبتون ان يحادثها على انفراد واحست داليا ان لذلك علاقة بخروجها مع كمال ووافقت مجبرة. من المحتمل ان سعدي سليم حذر صديقه ولكن المرجح ان لكليفورد علاقة بهذا الحديث الخاص. كان الطقس دافئا في الحديقة مع نسمة عليلة تحرك رائحة الازهار حولها وكم كانت تتمنى لو قضت هذا الصباح مع كمال ولكن عمها طلب منها ان تخرج معه بعد الفطور مباشرة ولم يكن من المعقول رفض طلبه.

وابتسم كمال عندما سمع عمها يطلب منها ذلك ، بينما كان كليفورد يتمشى في القاعة بلا هدف وحتى انه تحاشى النظر

اليها.

لم يتسنَّ لها الكلام مع كليفورد او كمال منذ ان عادوا من نزهتهم البارحة فكل المحادثة التي جرت بعد طعام العشاء كانت عامة، ولما تفرق الشمل كان قد حان وقت النوم. لكنها سمعت نقاشاً دائراً في غرفة عمها قبل ان تخلد الى النوم. واحست ان طلبه اليوم لمحادثتها له علاقة بنقاش ليلة الأمس.

وسألها البروفسور كرومبتون:

«هل سررت بنزهتك مع كمال بك؟».

واومأت برأسها مجيبة:

«نعم سررت جداً».

وفرك يديه بقلق وبدا عليه الاضطراب والضيق مما اشعرها بالاسف من اجله. فهو ليس معتاداً على تحمل مسؤولية شابة في عمرها وفجأة جاءه من اشعره بمسؤولياته. وقال بعد صمت طويل:

«كلمني كليفورد البارحة ويبدو انه يشعر بوجوب محادثتي معك».

واجابته بحزم وبعض الضيق قائلة:

«ما من سبب يدعو لذلك برأيي»

واجابها بقلق:

«الأمر ليس سهلاً علي، ابواك بعيدان عنك وكما تعرفين انا مسؤول عنك ولكن هذا ليس سهلاً وبصراحة يا عزيزتي لا اعلم كيف ابدأ».

وهزت رأسها لتنفي مسؤولية اي شخص اخر غير مسؤوليتها، ولكنها احست بالتعاطف، مع عمها فمن المؤكد ان كليفورد جعل موقفه مستحيلاً.

ربتت على ذراع عمها لتسهل عليه الأمر وتوقفت قائلة:

«عمي آرثر انا اعرف لماذا تكلم معك كليفورد بهذه الطريقة، لأنه رآني عائدة مع كمال البارحة وقد بدا عليه الغضب ولذا لم اتوقف لاتحدث معه لأني لم اود ان اتشاجر معه وكان هذا ما ينويه».

وقطب عمها بقلق قائلاً:

«عزيزتي، كليفورد غضب كثيراً عندما رآك عائدة مع كمال بك، وبما انك ستصبحين زوجته اظن بأن عليك مراعاة مشاعره اكثر».

واحمر وجهها واحست بالغضب لما ادعاه كليفورد في حين ان مثل هذا الادعاء ليس له اي اساس من الصحة وقالت:

«انا لم اذكر اني سأتزوج كليفورد وفي الحقيقة هو لم يطلب مني الزواج».

وهز رأسه قائلاً:

«اذن فلم توضحي رأيك لكليفورد، هو مقتنع انك خطيبته والا لما فاتح كمال بك بالموضوع هذا الصباح. ارجو الا يعقد الموضوع بحيث يجعل موقفنا صعباً في بيت سعدي سليم».

وصدمت داليا بما قاله وحملقت فيه للحظات غير قادرة على الكلام ثم قالت:

«يفتح الموضوع... يفاتح كمال... هذا ليس معقولاً. مستحيل. يجب الا يفعل ذلك».

وربت البروفسور على كتفها وقال:

«طفلتي العزيزة، يعتقد كليفورد انه اذا شرح الموقف بينكما لكمال...».

ولكن ليس هنالك من شيء لشرحه. ليس عنده الحق بان يقول اي شيء لكمال. ونهضت بسرعة وقالت:

«يجب ان اوقفه».

«لقد تأخرت يا عزيزتي، لأن كليفورد كان ينتظر في القاعة ليتكلم مع كمال بك عندما خرجنا الى هنا».

«وكمال، كان هناك».

واستندت الى الحائط وشعرت باليأس. لهذا اذن لم ينظر كليفورد اليها وكان يتمشى في القاعة ينتظرها حتى تخرج ليفاتح كمال.

واحست برغبة عارمة في البكاء ولكنها لم تعرف هل شفقة على نفسها ام غضباً. حتماً ان كمال سيصدق كليفورد وحتى لو قال له انهما مخطوبان وسيتزوجان، لأنه سبق ان سألها مثل هذا السؤال عندما لاحظ طريقة تصرف كليفورد معها.

كان يجب ان تعارض تصرف كليفورد في حينه فلا بد ان كمال سيظن بأنها تحاول خداعه بنكرانها اي علاقة جدية مع كليفورد. سيغضب ولن يسامحها لأنها خدعته.

واحست باليأس وجلست على حافة الحائط الذي احاط

بالازهار والورود واحست بالضياع ونظرت الى عمها وقالت:

«اخبرني ماذا يمكنني ان افعل».

ونظر اليها بحيرة غير عارف ما يجيبها ثم عانقها وقال:

«لا يمكنني ان اساعدك يا عزيزتي فانا لست خبيراً في هذه الاشياء، ليس من السهل ان تخبري كليفورد بانك لا تعتزمين الزواج منه ولكن اذا كنت متأكدة من مشاعرك فيجب ان تعلميه بذلك».

ونظرت اليه بيأس لأنه لم يفهم مشاعرها وقالت:

«انا لست قلقة على كليفورد. اريد اقناع كمال».

«كمال؟».

وحدق بها محاولاً فهم ما قصدته ثم قال:

«اذا كنت تقصدين انك تكنين الاعجاب لكمال سليم فارجو ان تنسي ذلك لأنه رجل تقليدي كجده وتركي صميم. انا على يقين انه سيتزوج من فتاة تناسبه ويوافق عليها سعدي سليم فلا تخدعي نفسك بالاحلام».

ودخلت داليا البيت في حالة يأس كاملة تاركة عمها يتجه الى عمله. فبالرغم من محاولته لأن يكون ليناً معها كلماته الاخيرة كانت بمثابة صدمة، ربما لأنها كلمات لاقت صدى في عقلها.

لم تكن قادرة على العمل معهم ولذلك اتجهت الى البيت لتخلد الى غرفتها لعلها ترتاح قليلاً في هدوء ولما وصلت منتصف الدرج، فتح باب الصالون وخرج كمال.

واستدارت محاولة نداءه لتشرح له القصة من وجهة نظرها

لكن ملامح وجهه كانت تشير الى انه على غير استعداد لسماع اي شيء. واكتفى بأن رمقها بنظرات غضب واحتقار تركتها متسمرة في مكانها.

واسرعت الى غرفتها والضيق يعتصر قلبها، فمن المؤكد ان كليفورد شرح له علاقتها بالطريقة التي تعجبه واحست بكراهية شديدة لكليفورد.

ولم يبق لها الا السيدة رينوار كأمل وحيد، فالعجوز لم تخف رغبتها بتطور العلاقة بين ابن اختها وداليا، ولكنها لم تفصح تماماً عن نوعية العلاقة التي تود رؤيتها. هل تتمنى الاستمرارية والديمومة لعلاقتها ام مجرد الترفيه عن ابن اختها. ونزلت داليا من غرفتها واتجهت الى الصالون على امل ان تلقى السيدة رينوار. لم تشأ رؤية اي انسان اخر وخاصة كليفورد لأنها خشيت مما قد تكون ردة فعلها تجاهه. وفتحت باب الصالون بحصر وعاودت اغلاقه بسرعة لأنها لم تر السيدة رينوار كما تمنت بل رأت كليفورد واقفاً بجانب النافذة، واستدار بسرعة الى الباب وكأنه احس انها ستغلق الباب مرة ثانية وناداها وقدم مسرعاً وقد بدا عليه القلق ورجاها قائلاً:

«ارجوك لا تذهبي، ارجوك يا داليا».

وترددت قليلاً وتوقفت.

«هل كلمك عمك؟».

واومأت برأسها وشدت على قبضتيها وقالت:

«لا اريد الكلام معك. لأني لست قادرة على ان اكون مؤدبة

تجاهك».

«ولكني فعلت ذلك من اجلك. داليا افهميني ارجوك، هل تتوقعين مني ان اقف مكتوف اليدين وارقبك تصابين بسوء على يد هذا الرجل؟».

أجابته بصوت متهدج:

«اذا كنت تقصد كمال فلم يكن هناك اي خطر حتى تدخلت انت الآن».

وقال باصرار:

«انت تعرفين تماماً انه كان سيسيء اليك عاجلاً ام آجلاً، وانت على يقين من حبي لك فليس من الممكن ان اتركك لتتألمي».

وكانت في صراع بين مزيج من المشاعر، الغضب من كذبته التي لفقها لعمها وشعور بالمرارة لأن تصرفه جعل من المستحيل عليها ان تتقرب من كمال مرة ثانية، وتصميم اكيد على ان تعلمه بشعورها تجاه كمال وهمست قائلة:

«انا احبه. لم اطلب منك ان تنقذني، كنت سعيدة بما انا فيه».

وامسك ذراعيها بشدة قائلاً:

«داليا».

وتذكرت الطريقة التي امسكها بها كمال بينما كانت تبكي مما اغضبها اكثر من كليفورد وافلتت نفسها منه وقالت:

«اتركني وحدي كليفورد».

واتجهت الى النافذة تتأمل الحدائق الجميلة وتتساءل كم سيطول بقاؤها في مافيسو بعد الآن. لقد اعتادت هذا البيت الجميل وهذه الحدائق الخلابة واحبت الرجل الذي عاش فيها ولم يعد من السهل نسيان هذا.

وقطع كليفورد الصمت قائلاً:

«وهل تظنين بأنه سيحبك؟».

ولم تجبه، فهي لم تعرف جواباً لذلك ولكنها كانت في حلم جميل قبل ان يبدد كليفورد كل شيء.

واقترب منها قائلاً:

«داليا ارجوك، انت تعرفين انه ما من فائدة ترجى من علاقتك به».

وهمست متسائلة:

«ماذا اخبرته؟».

وتردد قبل ان يجيبها برقة قائلاً:

«قلت له انك عنيدة بعض الشيء، وانك تأثرت بالجو والمحيط».

«ليس عندك الحق لتقول شيئاً كهذا».

ماذا سيكون رأي كمال بها. انها افتتنت باهتمام رجل ناضج وكذبت عليه بشأن علاقتها مع كليفورد.

«ظننت ان لي الحق».

وهزت رأسها قائلة:

«وغضب كثيراً؟».

«نعم غضب، انه رجل ذو كرامة ولا يحب ان يأتي من يعلمه كيف يتصرف، ولكنني اخبرته بالحقيقة، لأنك كنت قبلت بي زوجاً لولا ان السيدة رينوار ادخلت الافكار الى رأسك».

واستدارت داليا وقد اغرورقت عيناها بالدموع وقالت بصراحة:

«لم اكن لأقبل بك زوجاً لأنني لا احبك».

«وهكذا اذن».

وأحست فجأة بالاسف من اجله ومن صراحتها الجارحة، فلم يخطر ببالها انها قادرة على ان تكون قاسية وخاصة مع كليفورد فقالت:

«انا آسفة يا كليفورد».

وأجابها بهدوء:

«انا احبك، وتمنيت ان اعيدك الى العقل بأن ابعد سليم عن الصورة، ولكنك ما زلت لا ترين المنطق، اليس كذلك يا داليا؟ هل تظنين انك تعنين له اكثر من علاقة عابرة يتسلى بها قبل ان يتزوج تلك الفتاة التركية التي شاهدته معها؟ انك تخدعين نفسك ولا اعلم ماذا سيصيبك عندما يخبرك هو ذلك بنفسه؟».

وبكت بحرقة وصرخت:

«لا . . . .».

فشدها اليه وعانقها وهي تبكي بمرارة، مما اشعرها ببعض الارتياح ونظرت اليه بقلق وسألها:

«هل تشعرين بتحسن؟».

وهزت برأسها هامسة:

«لا يمكنني ان ألومك كثيراً لأنك قصدت الخير ولكن كنت اتمنى لو لم تقنع كمال بأني كذبت عليه».

«وكيف ذلك؟».

واومأت داليا قائلة:

«لأنني اكدت له انه ما من شيء بيني وبينك والآن سيفكر انني كذبت عليه عمداً».

وبدت عليه الحيرة وقال:

«لم اتمكن من اهمال الموضوع اكثر يا عزيزتي. والآن كل شيء انتهى وستنسين كل ما يتعلق به حالما تعودين الى بيتك وجوك العادي».

ولم تجبه بل كانت على يقين من ان كليفورد خاطىء في اعتقاده بانها ستنسى كمال لدى عودتها الى البيت، فهي لن تنساه ابداً مهما حصل حتى لو كان حباً بلا امل.

لم تحضر داليا طعام الغداء وانما ارسلت اعتذارها الى مضيفهم بحجة الصداع فلم تكن قادرة على مواجهة كمال على الاطلاق.

واحست السيدة رينوار بأن هناك علاقة بين مزاج كمال العكر وبين غياب داليا ولذا ذهبت الى داليا بعد الغداء واقنعتها ان تجلس معها في الصالون وقالت لها السيدة رينوار:

«لست مريضة يا عزيزتي اليس كذلك؟».

واعترفت داليا:

«ليس تماماً».

ونظرت السيدة رينوار الى ذلك الوجه المتجهم المتورم من فرط البكاء وهزت رأسها قائلة:

«كمال غاضب بشكل لم ار له مثيلاً من قبل، وانت تبدين وكأنك قضيت وقتاً طويلاً تبكين ولا يمكنني الا ان اجد علاقة بين غضبه وبكائك. واتساءل عن السبب».

ولم تجبها داليا، وجلست السيدة رينوار الى جانبها منتظرة تفسيراً وقالت داليا:

«اظن ان. . . اظن انه كان من المحتم حدوثه هذا عاجلاً ام اجلاً، فلا بد لكليفورد ان يسبب الاشكالات».

وقطبت السيدة رينوار وقالت:

«كليفورد؟ وما علاقة السيد ايتكن في هذا الشجار؟».

وأحست داليا بالارتياح بحيث فسح لها المجال للتكلم مع من يحاول تفهمها وقالت:

«كليفورد اخبر كمال انني مخطوبة له».

«السيد ايتكن؟ هذا ليس معقولاً. وهذا افتراء، أليس كذلك يا عزيزتي؟».

وهزت داليا رأسها مجيبة:

«بالطبع، لأني لما كنت خرجت مع كمال لو كنت مخطوبة لأي انسان اخر ولما كنت افسحت له المجال. . .».

ولم يكن هناك من داع لمتابعة كلامها لأن السيدة رينوار كانت تهز رأسها وقالت:

«هكذا... اذن كمال سخيف الى الحد الذي يصدق كلام رجل دفعته الغيرة. وهو غاضب لأنه...».

وهزت داليا رأسها بالنفي واحمرت وجنتاها وقالت بمرارة:

«انه غاضب لأنه يظن اني خدعته، لأني كنت دائماً اصر على انه ما من شيء بيني وبين كليفورد، وكمال صدق كلامي. والآن مقتنع اني خدعته وهو غاضب، لأنه يعتقد انه خرج مع خطيبة انسان اخر، لا يمكنني ان ارمي اللوم على كمال بالرغم من انه لم يعطني فرصة لاشرح موقفي».

وسألتها السيدة رينوار:

«وهل حاولت ان تخبريه؟».

«رأيته قبل طعام الغداء ولكنه اشاح بوجهه عني ولم يعطني فرصة لأتفوه بكلمة».

واغرورقت عيناها بالدموع. واومأت السيدة رينوار بتعاطف وقالت:

«انه عنيد. انت لم تكذبي عليه وليس عنده حق في ان يزعجك هكذا، ويجب ان تخبريه بكل شيء».

ونهضت السيدة رينوار لأنها سمعت حركة في القاعة وهمست قائلة:

«ربما عندك فرصة الآن يا صغيرتي، اظن انه قادم».

«لا. ارجوك يا سيدتي».

وامسكتها السيدة رينوار ونهضت قائلة:

«انا على يقين انك قادرة على التصرف مع كمال، كوني

حازمة يا عزيزتي لا تدعيه يخيفك. وجلست داليا تراقب السيدة رينوار تتحدث مع كمال وهو آت الى الصالون وفكرت انه من السهل اعطاء النصائح ولكن يصعب اتباعها، ثم دخل واغلق الباب خلفه، ولم يلاحظ وجود داليا الا بعد ان اصبح في منتصف الغرفة متجهاً الى النافذة فتردد قليلاً وظنته للحظة انه سيعود من حيث اتى، ولكنه تابع طريقه، كان من الممكن ان يتجاهلها ولكن تربيته لن تسمح له بمثل هذا التصرف بغض النظر عما صدر عنها. واوما محيياً برسمية وتناول سيجاراً وقال ببرود وجفاء:

«انا آسف على ازعاجك يا خانم».

ونهضت واقفة ولكنها تذكرت نصائح السيدة رينوار فابتلعت ريقها وقالت بسرعة قبل ان يتسنى له الخروج من الغرفة:

«كمال... احب ان اشرح لك، يجب ان...».

وقاطعها بحدة:

«ما من حاجة لك لشرح اي شيء، فقد شرح لي خطيبك كل الحقائق وليس عندي ما اقوله لك يا خانم الا انني معجب بخطيبك الذي ابدى استعداده لأن يغفر لك وما زال مستعداً للزواج منك بعد كل الكذبات التي اختلقتها».

«لا، ارجوك انا لم اكذب».

وكادت تنفجر بالبكاء ولكنها تمالكت نفسها، يجب ان لا يراها تبكي كالاطفال وقالت:

«انا... انا لم اكذب عليك يا كمال، ارجوك صدقني، انه

سوء تفاهم».

وفوجئت بنظرته المتعجرفة والباردة ونظرت اليه بيأس فلا بد انه مقتنع تماماً من كلام كليفورد وقال ببرود:

«انها خطيئتي لأني شاهدت السيد ايتكن يتصرف بحرية معك وكأن له الحق وكذلك فقد رآك جدي تتقبلي تصرفاته دون احتجاج منك وهل تريدينني الآن ان اصدقك».

«ولكني قلت لك. . .».

«انه لا يعني شيئاً لك. . . وانا صدقتك بالرغم مما رأيت يا خانم».

واصرت بيأس:

«ولكن هذه هي الحقيقة. انه ليس خطيبي، انه صديق ليس اكثر».

«لا تحاولي تبرير موقفك فالرجل لن يتكلم بهذه الصراحة عن امرأة ولن يدعي شيئاً مثل هذا امام الجميع الا اذا كان متأكداً من نفسه وموقفه حتى في مجتمعكم الحر. كان جدي حاضراً عندما ادعى انه خطيبك. لقد خدعتني من اجل اغراضك وانا لا يعجبني ذلك ولا اريد ان يعلمني احدهم كيف اتصرف مع خطيبة انسان اخر».

«كمال!».

ونظر اليها بازدراء وقال:

«اتمنى لك السعادة في زواجك يا خانم».

وأدركت داليا ان سبب تأثره الى هذا الحد كون كليفورد

أهانه امام جده. فلا بد ان جده صدم عندما علم بالطريقة التي تصرف فيها كمال مع خطيبة رجل اخر دون احترام للضيف او التقاليد. وشعرت بالتعاطف والتفهم لموقف كمال، ولكنها جرحت بالرغم من انه لم يدرك ذلك ورفض سماع ما ارادت قوله ولما استدار ليخرج قالت باصرار:

«يجب ان تسمع ما عندي لأقوله».

واجابها بحزم:

«ماذا هنالك ليقال بعد ذلك؟ فعمك مقتنع بما قاله خطيبك ولا اظن هناك اي نفع في استمرارك بالنكران. يبدو انك ستتزوجين كليفورد ايتكن ان اعترفت بذلك ام لا».

«تماماً كما ستتزوج انت سونيا كوزلو ان اردت ام لا».

وتوقف وكان ما زال ممسكاً بقبضة الباب واستدار ببطء وقال:

«ابداً يا خانم، انا لا اكذب في هذه الأمور».

وخرج بسرعة واغلق الباب حتى قبل ان تدرك داليا ما سمعت، كان يسرها سماع ذلك في الأمس ولكنه اليوم ساعد باضافة المزيد الى حيرتها وقلقها.

٩ - الهرب

صممت داليا في الصباح التالي على مغادرة مافيسو بغض النظر فيما اذا انتهى عمها من العمل ام لا. اصبح موقفها مستحيلاً وما من امل في تحسنه. لم تتمكن من النوم خلال الليل وكانت تشعر برغبة دائمة للبكاء. فكرت كثيراً بموقفها مع كل من كليفورد وكمال ووجدت ان افضل حل هو المغادرة.

ولم يعد بامكانها تحاشي وجبات الطعام لمجرد انها لا تريد رؤية كمال لأنها بدأت تشعر بالجوع وعزمت على ان تتكلم مع السيدة رينوار وهي صديقتها الوحيدة على ما يبدو. وخيل اليها ان سعدي سليم يعاملها بجفاء ولكن من المؤكد انه مجرد احساس خاطىء. حياها كليفورد بحرارة ولكنه اظهر لها انه لم

يئس تحديها له بأنها لا تحبه ولا تريد الزواج منه.

وتحاشت النظر الى كمال برغم تحيته الجافة لدى دخولها الغرفة. وجرحها ببرودة اكثر، لذا قررت ان عليها الاسراع بالعودة الى انكلترا.

ولا تعلم ما الذي دفعها لاخبار السيدة رينوار بنبأ عودتها حتى قبل ان تخبر عمها، الا ربما لأنها شعرت بأنها الانسانة المتعاطفة معها. وكانت ردة فعلها كالمتوقع فقد قابلت النبأ بالضيق والانزعاج قائلة بصوت مسموع:

«هذا غير ممكن يا عزيزتي، لا يمكن أن تنوي العودة بعد...».

ونظرت داليا الى سعدي سليم لتستشف ردة فعله ولكنها لم تلاحظ الا تلك النظرة المؤدبة ونظرت الى السيدة رينوار مرة اخرى محاولة افهامها:

«سيدة...».

وقاطعتها السيدة رينوار باصرار:

«يجب ان تبقي حتى ينتهي اكتشاف الهيكل كلياً اليس كذلك يا بروفسور؟».

ولم يبد انه استوعب ما قصدت تماماً من كلامها ونظر اليها باستغراب لكن كليفورد تدخل قائلاً:

«داليا! لا يمكن ان تكوني جدية بنيتك في العودة الى انكلترا».

ولم تجبه مباشرة، ارادت ان تعرف ردة فعل كمال ولكنها

خشيت ان تفاجأ باللامبالاة ولذا لم تنظر اليه واجابت قائلة:

«في الواقع قررت امس ان اعود لأنني لا اشارك في العمل وانا على يقين من ان عمي سيشعر بالارتياح للتخلص من مسؤوليتي».

وضحكت ونظرت الى عمها متابعة:

«اليس هذا صحيحاً يا عمي؟».

وتأملها للحظات قبل ان يقول:

«ساكون سعيداً بأي قرار يسعدك يا عزيزتي. اذا كنت ترغبين بالعودة فأنا لن اعارضك في ذلك فلقد مضى على غيابك عن انكلترا حوالى شهرين وربما تشعرين بالحنين وانا اقدر انك ربما تشتاقين لأصدقائك».

ونظر الى مضيفهم متابعاً:

«وانا على يقين بأن سعدي سليم يقدر اسبابك».

واكتفى سعدي سليم بايماءة مؤدبة وقال:

«بالطبع بامكاني تفهم الوضع داليا خانم. سنفتقدك ولكننا نتفهم رغبتك للعودة».

وجمل في كلامه حفيده ولكن داليا كانت غير اكيدة فيما اذا كان كمال يشاركه هذه المشاعر ولدى تذكرها انها لن تراه مرة ثانية احست برغبة بالبكاء. ولم يخطر لعمها على الاطلاق ان احداث الأمس لها اثر في قرارها على السفر. الا ان السيدة رينوار تفهمت اسبابها في اتخاذ مثل هذا القرار وحاولت ان تثنيها عنه وسألتها:

«هل تشعرين فعلاً بالحنين يا عزيزتي؟ ام انك تهربين؟».

تكلمت السيدة رينوار بصوت منخفض، حتى ان كليفورد الذي جلس الى جانبها لم يسمع. وعضت داليا على شفتها خشية انفجارها بالبكاء وهزت رأسها بحزم وقالت بصوت متهدج:

«كل ما اريد هو العودة الى بلدي».

ربتت السيدة رينوار على كتفها وقالت:

«لن ادع ذلك يحدث يا صغيرتي المسكينة».

وأحست بالخوف مما قد تقدم عليه السيدة رينوار لتحقق العدالة فأسرعت برجائها قائلة:

«أرجوك يا سيدتي، أرجوك لا تفعلي شيئاً، فمن الافضل ان اعود الى انكلترا. سيوصلني عمي في الصباح الى المطار وسأستقل الطائرة الى اسطنبول ومنها الى انكلترا».

«وحدك؟».

واظهرت السيدة رينوار الامر كأنه اسوأ ما يمكن ان يحصل لداليا ورمقت ابن اختها كأنها تلقي اللوم عليه فيما حصل.

وأصرت داليا مؤكدة:

«سأكون بخير يا سيدتي».

كل ما ارادت في تلك اللحظة هو السفر، وتابعت:

«صدقيني اني سأكون بخير فأنا معتادة الاعتماد على نفسي».

واجابتها السيدة رينوار بحزم:

«انت بنفسية متعبة ويجب ان يكون هناك من يرافقك ليعتني

بك».

ورمقت كمال مرة ثانية بنظرة ذات معنى.

ورجتها قائلة:

«ارجوك لا تقلقي نفسك بسببي، سأكون بخير».

«ولكن لماذا تودين الرحيل بهذه السرعة يا عزيزتي! ربما من الافضل ان تؤخري سفرك بضعة ايام».

وهزت داليا رأسها بالنفي وقد صممت على ما قررته وقالت:

«من الافضل ان اذهب الآن».

ومرة ثانية رمقت السيدة رينوار ابن اختها وقالت:

«اذن، اتركي لي ترتيب الأمور يا عزيزتي، وسيكون كل شيء على ما يرام».

ولم تود داليا مناقشتها وقالت:

«شكراً لك يا سيدتي».

كان كمال مستغرقاً في تناول طعام افطاره ولم يعط اية اهمية لرحيلها. وقال كليفورد:

«تمنيت لو بقيت من اجلي».

واحست برغبة جامحة بالبكاء وهزت رأسها بحزم وقالت:

«لا، فأنا مغادرة لمصلحتي الخاصة، ولا يهمني اذا بدا تصرفي انانياً».

وحزمت حقائبها في المساء، راحت تتجول في ذلك البيت الرائع صباح اليوم التالي لتلقي نظرة اخيرة على كل ما ألفته

خلال فترة شهرين من الزمن. وفي اي حال اينما ذهبت لن تنسى مافيسو ولن تجد كمال سليم مرة ثانية.

سيتم العمل على اكتشاف الهيكل بدون مساعدتها، وها هي الآن تغادر مافيسو ولن ترى كمال مرة ثانية واغرورقت عيناها بالدموع، وهزت رأسها في محاولة لمقاومة البكاء.

كانت متعبة واحست بثقل في عينيها لقلة النوم، ولم تشعر بأية رغبة للاهتمام بمظهرها.

وفاجأها كليفورد بتلمس عنقها فاستدارت مبتسمة وقالت بصوت متهدج:

«آسفة، كنت اتمنى لو الأمور على غير ما هي».

واجابها بهدوء:

«وانا آسف فقد سببت لك الازعاج بينما كنت احاول تجنيبك الآلام».

وتلمس وجنتها وهمس قائلاً:

«انا احبك يا داليا، تذكري ذلك».

«سأتذكر».

لم تشعر بالكراهية لكليفورد ولكنها كانت غير قادرة على ابعاد صورة كمال عن مخيلتها. وانهمرت دموعها، فانحنى كليفورد وقبل جبينها. وسمعت صوت السيدة رينوار في القاعة، وفتح الباب مما سبب لها الاضطراب فقد حانت لحظة الرحيل. وشدت على قبضتها وزاغت عيناها واحست برغبة في عدم الرحيل. ودخلت السيدة رينوار وقالت مبتسمة:

«السيارة في انتظارك يا عزيزتي داليا».

«شكراً يا سيدتي».

واتجهت داليا الى الباب والتفتت الى كليفورد مترددة للحظات وقالت:

«سأراك قريباً».

واومأ برأسه بصمت.

لم تلمح سعدي سليم ولكنها ودعته بعد طعام الافطار وبدا اقل انزعاجاً مما كان عليه في الليلة الماضية. ولم تر كمال منذ وجبة العشاء امس، واليوم تناول افطاره مبكراً كما اخبرتها السيدة رينوار وخرج. واحست داليا بالضيق لأنها تخيلته مع سونيا كوزلو.

كان الطقس حاراً في الخارج والشمس مشرقة ولمحت السيارة السوداء في انتظارها ولكنها لم تر عمها او اي انسان اخر في انتظارها، وفجأة ظهر كمال ليساعدها بدخول السيارة. حقاً انها تمنت رؤيته مرة ثانية قبل رحيلها، ولكن ان يصطحبها الى المطار ليتأكد من رحيلها فهذه قسوة ونظرت الى السيدة رينوار وقالت:

«ولكن عمي... سيصطحبني الى المطار...».

واجابها كمال ببرود:

«ستأتين معي».

واستعجلها لدخول السيارة واغلق الباب بينما كانت تهز رأسها بحيرة. وبعد ان شغل محرك السيارة وانطلق ادركت داليا

انها لم تودع السيدة رينوار.

فاستدارت بسرعة تمسح دموعها ولمحت السيدة رينوار بينما كان كمال ينعطف مع الطريق ولم تعد تراها. لماذا اختار ان يوصلها الى المطار بدلاً عن عمها. يا له من انسان قاس أراد ان يجرحها ويؤكد لها انه سعيد برحيلها، وهمست متسائلة:

«لماذا؟ لماذا لم تترك عمي يوصلني؟».

ولم ينظر اليها واكتفى بسؤالها:

«الا تثقين بي؟».

«نعم بالطبع اثق بك».

ولم تتجرأ على فتح اي حديث اخر معه. وشعرت بالاضطراب عندما تجاوزا المنعطف الذي يشير الى اتجاه المطار ونظرت اليه بقلق وسألته:

«الى اين... الى اين ستأخذني؟».

واجابها بابتسامة خفيفة:

«يبدو عليك الاضطراب، اين الثقة؟».

«كمال...».

«ثقي بي يا صغيرتي».

ورمقها بنظرة خاطفة ملؤها الحنان بعثت رعشة في جسمها فأغمضت عينيها رافضة ان تستيقظ من هذا الحلم. لم يتبادلا الحديث بعد ذلك ولكن صمتهما لم يكن مزعجاً، وانما شعرت بالارتياح. لم يبد كمال غاضباً متوتراً كما بدا لها خلال الأيام القليلة الفائتة منذ ان صرح كليفورد بادعائه.

وقاد السيارة بثبات وثقة عبر القرى تماماً كما فعلا في المرة السابقة واتجه الى الجبال حيث يقيم اليايلا. كان عندها شعور اكيد بالعودة فابتسمت. واستدار كمال في مقعده وجلس يتأملها مما دفع الاحمرار الى وجنتيها. واقترب منها وعانقها قائلاً:

«داليا... هل تذكرين عادات اليوركس يا صغيرتي؟».

وقطبت محاولة التذكر ومن ثم ضحكت مختالة وقالت:

«لا اذكر شيئاً غيرها».

وعانقها مجدداً وقال بصوته الرخيم الهادىء:

«احياناً يخطف الشاب حبيبته، الا تذكرين؟».

واومأت قائلة:

«نعم، نعم تذكرت، يختطف فتاته و...».

«وبعد ان يقضيا ليلة بمفردهما يوافق الجميع على زواجهما، هل تذكرين ذلك؟».

ووافقته بصوت متهدج:

«نعم اذكر».

«عمك وكليفورد ايتكن وجدي سعدي سليم جميعهم يظنون اني سأوصلك الى المطار عدا خالتي فهي الوحيدة التي تعرف اني اختطفتك يا حبيبتي».

وحدقت فيه مندهشة وغير مصدقة لما تسمع وقالت:

«كمال، ـ ميكون رأيهم بنا؟».

ولكنها كانت تعرف في قرارة نفسها انها ستوافقه على اي قرار

يتخلله لأنها لن تتحمل فراقه.
وحلق بها للحظات قبل ان يسألها:
«هل تحبينني يا داليا؟».
وقرأ الجواب في عنيها دون ان تنطق بكلمة فتابع قائلاً:
«اخبرتني خالتي بكل شيء. وكم تمنيت الانتقام من كليفورد ايتكن وودت لو اهشم وجهه تأديباً له على كذبه، ولكني اختطفتك بدلاً عن ذلك كما يفعل البوركس».
«اما من احد يعرف اين انت؟».
«لا احد باستثناء خالتي، ولا اظن انها ستخونني».
وبدا عليها القلق عندما قالت:
«ولكن ... عندما نعود...».
«عمك يريد ان تتزوجي من كليفورد ايتكن، وكذلك كليفورد لا يريدك ان تتزوجي سواه يا حبيبتي واما جدي فكان يتمنى بالطبع ان يزوجني من فتاة تركية ولكنه يحبك كثيراً وسيتقبلك في عائلته».
«يريد فتاة تركية كسونيا كوزلو مثلاً؟».
وهز كمال رأسه بحزم وقال:
«لا ليس كسونيا، فهي متحررة جداً. وانا احبك يا جميلتي داليا واريد الزواج منك برغم معارضة عمك وجدي. ولذا ار [illegible] نفسي كواحد من اولئك الشبان البوركس الذين حرموهم من فتياتهم. وأمامي أحد حلين اما ان اقف مكتوف اليدين امام المعارضة او ان ازيلها، والأمر في يدك».

وفكرت داليا بمدى قوة المعارضة لحبهما ومن ثم نظرت باتجاه معسكر الغجر وقالت:
«اذن فقد اختطفتني».
وأجابها برقة:
«وبالأصح فقد هربنا معاً يا صغيرتي وهذا يعتمد عليك».
«احقاً ذلك؟ الى اين سنذهب من هنا؟».
ولم يتوقع سؤالها فتردد لحظة ثم قال:
«خالتي عندها صديقة قريبة من هنا، وبامكانك ان تقضي الليلة عندها يا حبيبتي».
ونظرت اليه بعينين زائغتين وقالت:
«وأنت؟».
«اما انا يا حبيبتي فسأبقى في فندق في القرية القريبة بعيداً عن الاغراء».
وابتسم متابعاً:
«الا اذا اردت تطبيق عادة البوركس بحذافيرها».
واحمر وجهها خجلاً وعضت على شفتها وتابع هو قائلاً:
«والآن اخبريني يا حبيبتي: هل اختطفتك؟ هل آخذك الى المطار؟ ام اننا هربنا اتباعاً لعادة البوركس وستقبلين بي [illegible]».
واجابته بصوت مرتجف:
«اود ان اطبق العادات بحذافيرها!».